

الفصل الأول:

الصورة في الأغراض الشعرية

الصور العامة في الأغراض الشعرية

- 1- الوصف
- 2- المدح
- 3- الحكمة
- 4- الغزل
- 5- الصفاء والذم
- 6- الرد على الرسائل
- 7- الرثاء
- 8- الزهد
- 9- الفخر
- 10- الأعبية
- 11- الاعتذار
- 12- الشكوى والاستنجاك

مقدمة:

لقد سبق الحديث عن الغرض حين يصير مجموعة صور جزئية تشكل صورة مركبة أو صورة كلية⁽¹⁾، ذلك أن المحاكاة تتخذ الغرض وسيلة لإنشاء الصور المعبرة عن حالات أراد لها الشاعر أن تجد مكانا في حياته، وحينها داخل شعوره بالرفض أو بالقبول تعيننا لذاته ورأيه وموقفه من الحياة عموما ومن الحوادث العارضة خصوصا. إن الحديث عن الصورة الشعرية من هذه الزاوية هو شكل من أشكال التخيل، بل هو مستوى سطحي قريب المنال يعادل عادةً المحاكاة من حيث الدلالة، ولذلك يأتي التصنيف هنا من أجل مقارنة الشاعر بغيره ممن سبقوه، تعيننا لعلاقات الحضور والغياب؛ فالأول ما حصل فيه توافق وانسجام معهم، والثاني لما خالفهم فيه. يتعين من هذا الوضع أن تتحدد مع الأغراض جماليات الرؤيا والتشكيل عند الشاعر، وهو التحديد القائم على الهيمنة وكثرة الورد مقارنة بغيره. فما الأغراض الشعرية الطاغية في الديوان⁽²⁾؟ وما الصور العامة التي تحملها؟

الصور العامة في الأغراض الشعرية:

¹ - تنظر الصفحة 26 من هذا البحث.
² - في هذا الموضوع عيّن الدكتور علي عالية في مقاله الفيلسوف الشاعر أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، عدد 03، سنة 2006، ص45-71 الأغراض الآتية: المدح(بالكرم وبالشجاعة وبتأمين الخائف وإغاثة الملهوف)، والغزل ووصف الطبيعة وما دخل في حماها، وفي العدد 04، سنة 2008، ص153-166 واصل مع وصف القصور والدور، ثم عرّج على توظيف الطبيعة في وصف المرأة، وكذا توظيفها في المدح، ثم عاد من جديد إلى وصف مجالس الأتس.

لطالما كان الشعر محط أنظار العرب القدامى والمحدثين، يفضلونه على سواه (النثر)؛ إذ (كلام العرب نوعان منظوم ومنثور... وكل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة) ⁽¹⁾. وقد تؤدي هذه المفاضلة بين الشعر والنثر إلى قضية أخرى تتعلق بإعجاز القرآن؛ على أنه لم يكن شعرا، ولم يكن المصطفى عليه الصلاة والسلام بشاعر ﴿وَيَقُولُونَ أَأَنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ ⁽²⁾ ونسبهم صفة الشاعر للرسول الكريم ليست إلا تبيانا لعجزهم (فقالوا: هو شاعر لما في قلوبهم من هيبة الشعر و فخامته وأنه يقع منه ما لا يلحق) ⁽³⁾. وقد دافع الجرجاني عن الشعر و رأى فيه حجة لإدراك بلاغة وأسرار القرآن (ذاك أنا إذا كنا نعلم أن الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن و ظهرت، وبانت... كان على حد من الفصاحة تقصر عنه قوى البشر، منتهاها إلى غاية لا يُطَمَح إليها بالفكر، وكان محالا أن يعرف كونه كذلك إلا من عرف الشعر الذي هو ديوان العرب) ⁽⁴⁾. إن الفرق بين النثر والشعر هو النظم؛ والشاعر (كناظم الجوهر الذي يؤلف بين النفيس منها والثمين الرائق، ولا يشين عقوده بأن يفاوت بين جواهرها في نظمها وتنسيقها) ⁽⁵⁾، فقد جعل من الشعر جواهر شأنه في ذلك شأن ابن رشيق الذي شبه اللفظ بالدرّ الذي ينتظر النظم وإلا تبدد و زال جماله، ذلك أن (اللفظ إذا كان منثورا تبدد في الأسماع و تدحرج عن الطباع ولم تستقر منه إلا المفردة في اللطف) ⁽⁶⁾.

وجوهر الشعر أساسه الباعث عليه أو الغرض من نظمه؛ لأنه المعيار الجمالي لجودة القصيدة، وذلك بالنظر إلى (الغرض الذي له رُوي الشعر، ومن أجله أُريد، وله دُون) ⁽⁷⁾. فالغرض -إذن- مرتكز أساس يبني عليه الشاعر توجهه، كما قد يكون

1 - ابن رشيق: العمدة، في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2001/1422، ج1، ص 16.

2 - سورة الصافات، الآية: 36.

3 - ابن رشيق: العمدة، ج1، ص 18.

4 - الجرجاني: دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، دار المدني القاهرة، ط3، 1992/1413، ص8-9.

5 - ابن طباطبا: عيار الشعر، ص11.

6 - ابن رشيق: العمدة، ج1، ص 16.

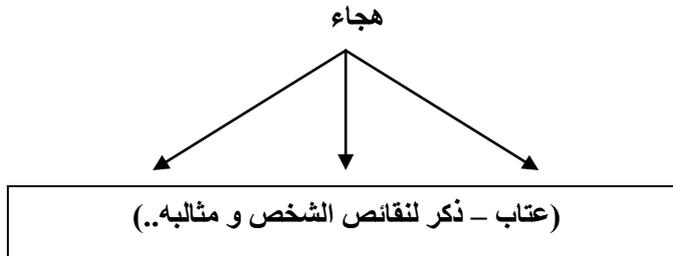
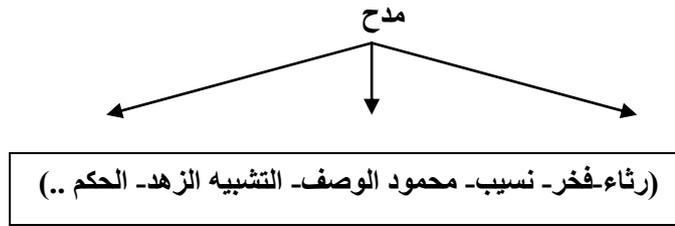
7 - الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 12.

الفصل الأول: الصور في الأغراض الشعرية

المرتکز الأساس عند المتلقي للكشف عن جماليات الصورة التي أراد الشاعر تحديدها في نظمه، فتعددت بذلك الأغراض.

لقد حصر أبوتمام الأغراض في عشرة أبواب: (الحماسة، والمراثي، والأدب، والنسيب، والهجاء، والمديح والأضياف، والصفات، والسير والنعاس، والملح، ومذمة النساء)⁽¹⁾. أما قدامة بن جعفر فحصرها في (المديح والهجاء، والنسيب والمراثي، والوصف والتشبيه)⁽²⁾، وتعينت عند ابن رشيق في: (أربعة أركان وهي: المدح والهجاء والنسيب والرثاء)⁽³⁾.

مما سبق يمكن أن نحصر الشعر في بابي المدح والهجاء؛ لأن في المدح رثاء وفخر و نسيب ومحمود الوصف والتشبيه والزهد والحكم، وفي الهجاء عتاب وذكر للنقائص والمثالب.



إلا أن حازما لا يؤيد هذه التقسيمات؛ لأنها تتداخل فيما بينها، فهو يبحث عن تبرير لأسباب الغرض، كما يبحث عن الأثر الحاصل من الغرض سواء أكان ترغيبا أم كان تنفييرا مبينا أن (أمهات الطرق الشعرية أربع، وهي التهاني وما معها، والتعازي وما معها، والمدائح وما معها، والأهاجي وما معها، وكل ذلك راجع إلى

¹ - (حبيب بن أوس الطائي) : الديوان، برواية أبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي، شرحه وعلق عليه أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1998/1418، ص 07.

² - نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 91.

³ - ابن رشيق: العمدة، ج1، ص 128.

ما الباعث عليه الارتياح، و إلى ما الباعث عليه الاكتراث، وما الباعث عليه الارتياح و الاكتراث معا⁽¹⁾.

لقد سلك حازم منهجا عقلا نيا للحكم على الشعر وأضره والفائدة المرجوة من نظمه والكامنة في "الأثر" (وكل ذلك راجع إلى ما الباعث عليه الارتياح، وإلى ما الباعث عليه الاكتراث، وما الباعث عليه الارتياح والاكتراث معا⁽²⁾)، وقد سبقت الإشارة إلى هذه الفكرة فيما تقدم من البحث، فالأثر عند الشاعر وعند المتلقي معا، فينتهي الأمر عند المتلقي إلى قضية التحسين والتقييح والمطابقة.

لم يكن المقصود من الشعر كل موزون ومقفى بل كان المقصود منه (إنهاض النفوس إلى فعل شيء أو طلبه أو اعتقاده أو التخلي عن فعله أو طلبه أو اعتقاده بما يخيل له فيه من حسن أو قبح وجلالة أو خسة⁽³⁾)، فعلى الشاعر أن يقف على فنون القول (فيخاطب الملوك بما يستحقونه من جليل المخاطبات، ويتوقى حطها عن مراتبها وأن يخلطها بالعامية، كما يتوقى رفع العامة إلى درجات الملوك، ويعد لكل معنى ما يليق به، ولكل طبقة ما يشاكلها⁽⁴⁾)؛ فيكون الخطاب موافقا لمقتضى الحال، وذلك بأن تكون المعاني مناسبة للأغراض، فللمدح معانيه وللهجاء معانيه، وللثناء معانيه كما للنسيب معانيه؛ فالمدح مثلا قد يتطلب التضخيم والمبالغة في حين يقوم الرثاء على المعاني الحزينة المثيرة للشجن، كما قد تكون المعاني الموظفة لتصوير الأغراض واصفة (أحوال الأشياء التي فيها القول، ووصف أحوال القائلين، أو المقول على ألسنتهم، وأن هذه المعاني تلزم معاني آخر تكون متعلقة بها و ملتبسة بها، وهي كصفات مآخذ المعاني ومواقعها من الوجود، أو الغرض، أو غير ذلك، ونسب بعضها إلى بعض، ومعطيات تحديدها وتقديراتها... ومعطيات كصفات المخاطبة⁽⁵⁾) و يكمن دور الشاعر في حسن

1 - حازم القرطاجني: المنهاج، ص 341.

2 - حازم: المنهاج، ص 71؛ إذ يرى أن الشعر ليس كلاما موزونا فحسب وإنما ما (من شأنه أن يحيب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريهه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه بما يتضمن من حسن تخيل له، ومحاكاة مستقلة بنفسها...). وعندما تنتهي مهمة الشاعر وهي المحاكاة/التخييل، تبدأ مهمة التخييل، ينظر حازم: المنهاج ص 89.

3 - حازم: المنهاج، ص 106.

4 - ابن طباطبا: عيار الشعر، ص 21.

5 - حازم: المنهاج، ص 14.

التسويق، وفي مدى تجاور الألفاظ ونظمها وحسن تمامها ⁽¹⁾. ولا يكون هذا التمام مؤديا للمعنى المرغوب فيه إلا إذا حسنت دلالة؛ لأن أساس النظم هو تناسب الدلالة وتلاقي المعاني (وتبرجها في صورة هي أبهى وأزين وآنق و أعجب وأحق بأن تستولي على هوى النفس، وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب) ⁽²⁾. ومن ثمة تتم المتعة الجمالية أو الأثر الذي أراده الشاعر حينها بواسطة الغرض أو غيره.

وبالنظر إلى الأغراض في القصيدة نجد أن هناك قصائد بسيطة الأغراض وأخرى مركبة الأغراض، فالبسيطة كأن تكون مدحا صرفا، أو رثاء صرفا، وأما المركبة فهي تلك التي تشتمل على غرضين كالمديح والنسيب مثلا ⁽³⁾.

وإذا كان الغرض يقوم على مجموعة من الفصول يرتبها الشاعر على حسب أهميتها فإنه (يحتاج ... إلى أن يصل كلامه على تصرفه في فنونه صلة لطيفة فيتخلص...) (بألفظ تخلص وأحسن حكاية بلا انفصال للمعنى عما قبله، بل يكون متصلا به و ممتزجا معه) ⁽⁴⁾ حتى يتم المعنى ويؤثر في نفس المتلقي من أجل إعطاء حكم ما. ولا يتم وصول المعنى إلا إذا قدّم الشاعر بناءً محكما لقصيدته يدل على براعة السبك كحسن الابتداء وحسن التخلص وجودة الخواتم، لتشارك هذه السمات الغرض في بناء القصيدة وإعطاء الصورة الكلية لرؤية الشاعر، وهذا ما ستيينه الدراسة التحليلية لقصائد أبي الصلت الأندلسي.

1 - الوصف:

لغة: (الوصف وصفك الشيء بحليته ونعته. ويقال للمهر إذا توجه لشيء من حسن السيرة: قد وصف، معناه: أنه قد وصف المشي أي وصفه لمن يرد منه) ⁽⁵⁾، وقال أحمد بن فارس: (هو تحلية الشيء.. والصفة الأمانة اللازمة للشيء) ⁽⁶⁾. والنعت عنده هو الوصف. وذكر عن الخليل أن النعت لا يكون إلا في

1 - ابن طباطبا: عيار الشعر، ص 129.

2 - الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 43.

3 - حازم: المنهاج، ص 303.

4 - ابن طباطبا: عيار الشعر، ص 12.

5 - الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، مادة وصف، ج 4، ص 376.

6 - ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة وصف، ج 6، ص 115.

محمود، وأن الوصف قد يكون فيه وفي غيره ⁽¹⁾. فكان أصل الوصف الكشف والإظهار.

يصور الوصف الجمال كما يصور القبح، إنه غرض ينطلق من المحسوس ليصور الجرد (لأنه متصل بالجوارح) ⁽²⁾، فإذا قلنا الكرم ذكرنا الغيث، والسييل ودفقه، وإذا قلنا الشجاعة استعرنا صولة الأسد، وانقضاض النسور، وإذا قلنا الحقد تصور لنا الجمر القاني وغيرها من الإسقاطات، لذا كان (أحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله للسامع) ⁽³⁾.

كما عُدَّ الوصف خاصية تتجلى في الأغراض الشعرية ؛ ذلك أنه لا يكون مستقلاً بذاته بقدر ما يكون متجسداً في كثير من الأغراض على حد قول ابن رشيق: إن الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف، فلا سبيل إلى حصره واستقصائه ⁽⁴⁾. واستقصائه ⁽⁴⁾. فالمدح وصف والرثاء وصف والهجاء وصف والفخر وصف، والكل تصوير لكل ما تقع عليه العين وما تستشعره الحواس (إنه ذكر الشيء كما فيه من الأحوال و الهيئات، ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني كان أحسنهم من أتى في شعره بأكثر المعاني التي [يكون] الموصوف مركب منها ثم بأظهرها فيه و أولها حتى يحكيه بشعره ويمثله للحسن بنعته) ⁽⁵⁾.

ولما كان للوصف هذا التشعب والحضور جعل غرضاً مستقلاً في ديوان أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي، إذ بلغت نسبة تردده سبعة وثمانين مرة (87) حسب ما يبينه الجدول الآتي:

رقم القطعة	التردد	الصورة / الغرض
الديوان: 3-7-9-15-17-18-19-21-27-31-32-34-35-37-39-45-56-62-69-70-76-77-78-79-80-84-81-85-86-87-89-90-91-92-94-95-96-97-100-105-113-115	65	الوصف 87

1 - ابن فارس : مقاييس اللغة ، مادة نعت ج5، ص448.
2 - غازي طليمات وعرفان الأشقر: تاريخ الأدب العربي، الأدب الجاهلي(قضاياها، ناغراضه، أعلامه، فنونه) ، دار الإرشاد، دمشق، ط1، 1412-1992، ص63
3 - ابن رشيق: العمدة، ج2 ، ص 230.
4 - ابن رشيق: السابق، ج2 ، ص 230.
5 - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص 130.

الفصل الأول: الصور في الأغراض الشعرية

-131-129-128-125-124-121-119-118 -145-144-140-137-135 -156-155-154-153-150-148-147-146 -167 ذيل الديوان: 1-5-6-17-18-19-24-26-27 -62-61-46-42-40-39-34-33-32-30-28 .69-65	22	
---	----	--

فماذا وصف الشاعر؟ وما مدى براعته في التصوير؟ وماهي التقنيات التي وظفت لتحسيد النص الوصفي⁽¹⁾؟ يتبين ذلك من خلال الشواهد التي سندرجها والتي تعددت بتعدد أنواع الوصف: وصف الطبيعة الساكنة الصامتة، والأماكن والأشياء، ووصف الطبيعة المتحركة الحية.

و الجداول الآتية تبين هذه الموصوفات، متبوعة بنماذج شعرية من الديوان:

1.1- وصف الطبيعة الساكنة/الصامتة:

1.1.1- وصف الأماكن:

الصفحة	القطعة	المكان الموصوف
29	19	وصف مدينة الإسكندرية
88 و 81	105/86	بركة الحبش من مصر
81	87	وصف الهرمين بجانب الفسطاط
88	104	وصف حمام
141	17 ذيل الديوان	وصف المصنع المعروف بأبي فهر
142	18 ذيل الديوان	وصف رصد القاهرة(جبل)
145 و 133	26/06 ذيل الديوان	وصف النيل
148	34 ذيل الديوان	وصف دير مارحنا
149	36 ذيل الديوان	وصف السجن
61/ 60	56	وصف قصر بناه الحسن بن علي بن تميم

¹ - النص الوصفي (le texte descriptif) كتاب لجون ميشال آدم، بين فيه بعض التقنيات الواردة في الوصف وحصرها في ثلاث نقاط: - الترسيح (encrage) . - عملية تحديد المظاهر (opération d'aspectualisation) . - إقامة العلاقات أو التعلق (la mise en relation)، ينظر جون ميشال آدم : le texte descriptif.édition : Nathan.Paris,1989, p114-128.

يميل أمية في وصفه إلى تجسيد الأشياء وتشخيصها، وذلك من خلال بعض القرائن التي دلت على ذلك كأن يذكر موصوفه في بداية القطعة، وذلك ليكون أيسر للفهم و أسهل على التأثير في القارئ، وهذا ما نجده موضحا عند جون ميشال آدم عندما تطرق إلى تقنيات النص الوصفي⁽¹⁾، ومن أمثلة ذلك قول أمية في وصف بركة الحبش من مصر⁽²⁾: [من المنسرح]

للله يومي ببركة الحبش
والنيل تحت الرياح مضطرب
والأفق بين الضياء والغيش
يرقص في الحباب من طرب
كالسيف سلته كف مرتعش
وربما مر قصد مسربه
وتارة يستدير من دهش
ونحن فتى روضة مفوفة
مثعب ماء ينساب كالحنش
قد نسجتها يد الربيع لنا
دبج بالنور عطفها ووشي
فنحن من نسجها على فرش
دعاه داعي الصبا فلم يطش
وأثقل الناس كلهم رجل

لقد صور جمال البركة في وقت بداية النهار وقت انقشاع ظلمة الليل، وكان وصفه وصفا مباشرا صريحا. ومن الموصوفات كذلك قوله في وصف قصر بناه الحسن بن علي بن تميم⁽³⁾: [من الخفيف]

لا عدا العز من به سماه	منزل العز كاسمه معناه
ذراها لو أنها إيّاه	منزل ودّت المنازل في أعلى
أي حسن دون القصور حواه	فأجلّ فيه لحظ عينيك تبصر
جمدت في قراره الأمواه	سال في سقفه النضار ولكن
ليس تنفك من وغي خيلاه	وبأرجائه مجال طراد
ليس تدمي من الطعان قناه	تبصر الفارس المدجج فيه

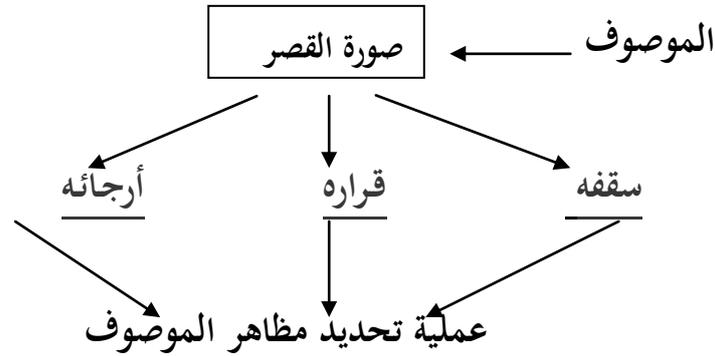
¹ - هذا النوع من الوصف يطلق عليه اسم: الترسيخ (encrage)، ونقصد به ذكر الموضوع المراد وصفه في بداية القطعة لترسيخه وتوضيح قصدية المؤلف له، ينظر: جون ميشال آدم: السابق، ص 114-115.

² - أمية، بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي: الديوان، تحقيق عبدالله محمد الهوني، دار الأوزاعي للطباعة و النشر والتوزيع، الدوحة، قطر، ط1، 1990/1410، ق86، ص81، الغيش: ظلمة آخر الليل، المسرب و السرب: مجرى الماء، مثعب: سائل.

³ - أبو الصلت: الديوان، ق 5، ص 60 .

وترى النابل المواصل للزرع	بعيدا من قرنه مرماه
وصفوها من الوحوش وطير ال	جو كل مستحسن مرآه
سكنات تخالها حركات	واختلاف كأنه أشباه
منظر يبعث السرور ومرأى	يذكر المرء طيب عصر صباح

لقد ورد في هذه القطعة ذكر للموضوع الموصوف (المنزل)، ثم نجد بروز تقنية أخرى وهي التذكير بالموضوع الموصوف، وهذا ما يطلق عليه اسم إعادة الصياغة (1) (reformulation)، وفي هذا الشاهد ذكر الاسم مباشرة بعد عملية الترسخ (منزل العز، ثم منزل) ثم ذكر بتوظيف ضمائر الغائب تجنباً للتكرار مثل: (فيه، سقفه، قراره، أرجائه، ..) وبعد ذكره للمنزل يبدأ في ذكر تفاصيله، أو تجزئته، ويطلق على هذه التقنية : عملية تحديد المظاهر (2) (opération d'aspectualisation)، فالموضوع الرئيس يتجزأ إلى عناصر جزئية ليعطي موضوعات جديدة:



وتأتي عملية التعالق (إقامة العلاقات) عن طريق المشابهة أو المماثلة وهذا ما قد نستشفه من المقارنة أو الاستعارة (3)، وقد نمثل لذلك بقول الشاعر في وصف شعبة (4): [من الطويل]

وناحلة صفراء لم تدر ما الهوى فتبكي لهجر أو لطول بعاد
استعارة استعارة

1 - محمد نجيب العمامي: في الوصف بين النظرية و النص السردي، دار محمد علي للنشر و التوزيع، تونس، ط 1، 2005، ص130.

2 - جون ميشال آدم: مرجع سابق، ص 117.

3 - نفسه، ص 128.

4 - أبو الصلت: الديوان ، ق35، ص39.

حَكَّتِي نَحَوْلًا وَاصْفَرَارًا وَحَرَقَةً وفيض دموع و اتصال سهاد
مماثلة/ مشابهة لحال الشاعر

2.1.1- وصف أشياء مختلفة:

الصفحة	القطعة	الموصوف
30	20	وصف المدام (الخمير)
33	25	وصف الظل (أحجية)
39	35	وصف شمعة
55	52	وصف البكرة (أحجية)
80	84	وصف الثريا
90	111	وصف الاسطراب
93	118	وصف معجزة
133	07 ذيل الديوان	وصف الأنفة
148	32 ذيل الديوان	وصف عود غناء
151	40 ذيل الديوان	وصف أهوال البحر
159	53 ذيل الديوان	وصف الغربة
165	70 ذيل الديوان	وصف كاغد رديء (ورق)

3.1.1- وصف الخمير:

رقم القطعة	التردد	الصورة / الغرض
الديوان 20-22-74-142-	04	الخمير
ذيل الديوان 03-	01	05

2.1 - وصف الطبيعة المتحركة الحية:

1.2.1 - وصف الغلمان :

الصفحة	القطعة	الموصوف
30	21	وصف غلام واعظ
36	31	وصف غلام غزي عليه قرمزية
37	32	وصف غلام يلعب بالنشاب
41	39	وصف غلام اسمه جوشن
92	115	وصف غلام اسمه محسن

الفصل الأول: الصور في الأغراض الشعرية

94	121	وصف غلام اسمه واصل
98	131	وصف غلام من الزنج يسبح في نهر
103	144	وصف غلام نظر إليه فأعرض عنه
135	10 ذيل الديوان	وصف عبيده
155	46 ذيل الديوان	وصف غلام صبيح الوجه

2.2.1- وصف بعض الشخوص:

25	09	وصف سوداء سميت عزة
81	88	وصف مروان الطيب
83	91	وصف امرأة تسمى كلبية
83	92	وصف رجل قليل الفهم
85	96	وصف كاتب
86	100	وصف مغنية اسمها أروى
87	103	وصف أبخر كثير الكلام
143	20 ذيل الديوان	وصف مغن قبيح الوجه
152	42 ذيل الديوان	وصف جارية تحمل شمعة
157	49 ذيل الديوان	وصف طيب
163	65 ذيل الديوان	وصف شمعة لجارية تدعى تجني

3.2.1 - وصف بعض الحيوانات:

الصفحة	القطعة	الموصوف
38	34	وصف قطاة
40	37	وصف فرس أشهب
71	67	وصف فرس أحمر يسمى الوجيه
72	70	وصف فرس من أفراسه
90	110	وصف طاووس
119	167	وصف الأسد
131	01 ذيل الديوان	وصف طاووس

الفصل الأول: الصور في الأغراض الشعرية

142	18 ذيل الديوان	وصف فرس
144	24 ذيل الديوان	وصف كلب صيد
84	95	وصف البراغيث

وهناك وصف له علاقة بذات الشاعر وتبين ذلك في القطع الآتية:

وصف ذات الشاعر	القطعة	الصفحة
سراة الأحبة	10	26
حنين الشاعر إلى الديار	13	27
لحظة الوداع	15	27
استحضار الأحبة (الطيب)	16	28
رحيل الأحبة	17	28
استحضار الأحبة (الطيب)	114	92

3.1- أشكال الوصف: (التشكيل الوصفي)

إن الوصف خاصة تملك نفس الشاعر، حتى بدا الإنسان/الشاعر مجبولاً على الوصف؛ لذا فالوصف نوعان، وصف فطري نشترك فيه جميعاً كأداة للتعبير والتواصل، ووصف له علاقة بالنص الأدبي، وهو الذي تبين في ديوان أبي الصلت، لكن هذا الوصف فيه أنواع حسب ما صور الشاعر:

1.3.1 - وصف مباشر : وصف لأجل الوصف كأن يصف الشاعر طاووساً

فيقول⁽¹⁾: [من السريع]

أبدى لنا الطاووس عن منظر	لم تر عيني مثله منظراً
متوج المفرق إلا يكن	كسرى بن ساسان يكن قيصراً
في كل عضو ذهب مفرغ	في سندس من ريشه أخضراً
نزهة من أبصر في طيها	عبرة من فكر واستبصراً
تبارك الخالق في كل ما	أبدعه منه وما صوراً

فالوصف كان وصفاً نقلياً لجمال الطاووس وشكله، ومنظره وحسن بهائه .

¹ - أبو الصلت: الديوان، ق 110 ، ص 90.

2.3.1 - وصف حسي : وذلك بأن يصور الشاعر المعنوي بالمحسوس فيصف حينه إلى أحبته⁽¹⁾: [من المتقارب]

شغلت يدي غداة الوداع فكلتاها بالأسى غانية

أكفكف دمعي بأحداهما وأمسك قلبي بالثانية

وأمسك قلبي بالثانية دليل على شجنه وأساه فالقلب هنا دلالة على فرط حزنه.

ومن ذلك قوله⁽²⁾: [من المتقارب]

أقول وقد شطت به غربة النوى	وللحب سلطان على مهجتي فظ
لئن بان عني من كلفت بحبه	وشط فما للعين من شخصه حظ
<u>فإن له في أسود القلب منزلا</u>	تكنفه فيه الرعاية والحفظ
أراه بعين الوهم والوهم مدرك	معاني شتى ليس يدركها اللحظ

3.3.1 - وصف شعوري : وذلك أن يصف الشاعر ذاته فيعطي الطبيعة الجامدة

الحركة والنشاط فيصور ما يراه وما يشعر به، ويسقط من ذاته على الأشياء الموصوفة

فيقول واصفا حاله في غربته عن أهله⁽³⁾: [من السريع]

يا غيث سق الدار في ذمتي حسبك من غاد ومن رائح

ضاعت يد الغيث لدى ناهل يكرع في حوض الندى الطافح

إن ربا هند و أطلالها قد رويت من دمعي السافح

و أنت يا ريح اذكري أن لي دينا على عزف الصبا الفائح

فيتخذ الشاعر من الريح والغيث رسولين يوصيهما بأن يوصلا سلامه إلى أهله، ومن

ذلك قوله يصف مدينة الإسكندرية⁽⁴⁾: [من الرجز]

تبرجت تبرج الحسناء مرقومة الحديقة و الملاء

فالأرض في البهجة كالسماء والماء في الرقة كالهواء

عقلة لحظ المستشف الرائي فأعجب لضحك ماء عن بكاء

¹ - أبو الصلت: الديوان ، ق15، ص27.

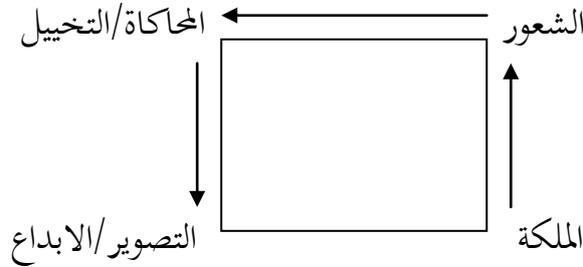
² - أبو الصلت: الديوان ، ق17، ص28.

³ - أبو الصلت: الديوان ق18، ص28-29.

⁴ - أبو الصلت: الديوان ، ق19، ص29.

فالوجود عنده كائن حي له مواصفات الحياة من ضحك وبهجة وطرب، وبكاء ونطق وألم، وقد بدا الشاعر متأثراً برؤية الجمال فعبّر عما رآه وعما شعر به؛ فالضحك والبهجة والبكاء من ذات الشاعر فصور الأرض والسماء في بهجة لتتطابق مع ذات الشاعر.

بناءً على ما سبق يكون الشاعر قد وصف بمثل ما قال به القدامى كابن رشيق وقدامه بن جعفر بأن جعل الوصف يكاد يتمثل عياناً للسامع لجودته وحسن إصابته وتحقق في صنيعة قولهم: (أبلغ الوصف ما قلب السمع بصراً)⁽¹⁾.
وعليه؛ تتعين عناصر الوصف في أربع نقاط: ملكة الشاعر ثم شعوره ثم محاكاته وتخيله ثم تصويره وإبداعه:



2. المدح:

جاء في العين أن (المدح نقيض الهجاء وهو حسن الثناء. والمدحة اسم المديح، وجمعه مدائح، ومدحٌ. يقال مدحته وامتدحته)⁽²⁾، وجاء في المقاييس أنه (يدل على وصف محاسن بكلام جميل، ومدحه مدحا أحسن عليه الثناء..⁽³⁾).
أما في الاصطلاح فهو فن من فنون الشعر أساسه الثناء وذكر محاسن الشخص الممدوح ذو الوضع الاجتماعي المتميز وتبيان فضائله⁽⁴⁾، وقد حصر قدامة بن جعفر هذه الفضائل في أربع فيقول: (إنه لما كانت فضائل الناس من حيث أنهم ناس لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان على ما عليه أهل الألباب

¹ - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص230.

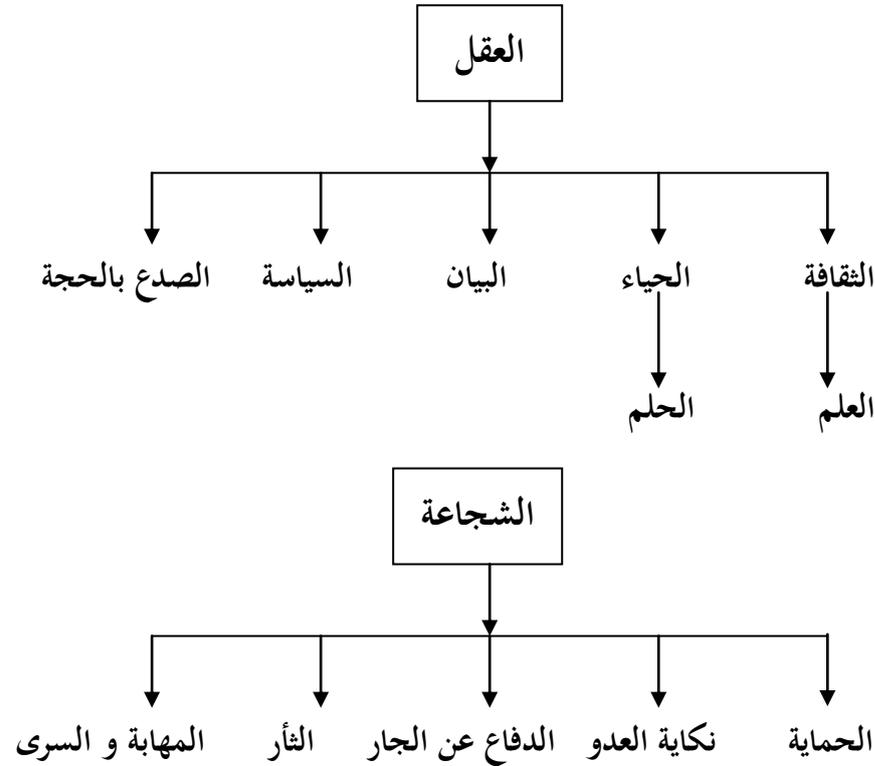
² - الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، باب الميم، ج4، ص126.

³ - ابن فارس: مقاييس اللغة، ج5، مادة: مدح، ص308.

⁴ - حسني عبد الجليل: الأدب الجاهلي، قضايا وفنون ونصوص، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1421 / 2001، ص246.

من الاتفاق في ذلك إنما هي العقل والشجاعة والعدل والعفة كان القاصد مدح الرجال بهذة الأربع خصال مصيبا، والمادح بغيرها مخطئا... (1).

وقد تضمن المدح موضوعات كالفخر والرثاء والوصايا لاشتماله على أمور مشتركة بين هذه الأغراض، وفي هذا المقام يذكر ابن رشيق أنه (ليس بين الرثاء والمدح فرق، إلا أنه يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت (2). فالمدح إذن تصوير لمكسب إنساني يتمثل في الممدوح، أما الرثاء فإنه يصور صورة الفقد، ونلمس في المدح غبطة و سرورا، وفي الرثاء إحياء للمواقع والآلام والحنين. وقد لا يكون الدافع وراء المدح هو الإعجاب والتقدير للممدوح فقط بقدر ما قد يخفي من جوانب ضمنية؛ لأن الشاعر قد يذكر صفات حقيقية في الممدوح وقد يتأمل أشياء " كما يجب أن تكون"، وهذا قد يكون له علاقة بقضية " التحسين" أي أن يجعل للممدوح صورة مخالفة عن بقية الناس، إما من باب الإعجاب أو من باب المنفعة المتبادلة. إن فضائل الممدوح أربع، ولكل فضيلة تفرعات:



1 - قدامة بن جعفر : نقد الشعر، ص96. وهذا ما أوضحه فيما بعد حازم القرطاجني في المنهاج، من الصفحة 166 إلى الصفحة 171.

2 - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص 96. وهذا ما أوضحه عز الدين إسماعيل، إذ يرى أن "الرثاء فن شعري يلتقي في كثير مع فن المدح، أليس هو تعدادا لفضائل المتوفى وأثاره؟ ومآثره؟" ينظر: عز الدين إسماعيل، في الشعر العباسي الروية والفن، ص 362.

1.1.2 - الملوك:

التردد	الصفحة	القطعة	الملوك
4	(160/121/117/14)	(ق168/166/41/55ذ)	الأفضل يلقب بشاهنشاه ملك الملوك
5	(114) /112/111/110/109)	(164/163/162/161/160)	أبو الطاهر يحيى بن تميم الصنهاجي

2.1.2 - الأمراء:

التردد	الصفحة	القطعة	الأمراء
01	19	ق1	أبو الثريا
8	(123/103/56/52/51) (134/125/124)	(ذ8/171/170/129/143/53/49/48)	يحيى بن تميم
5	(139/92/92/54/53/24)	(ق14/116/51/50/8ذ)	علي بن يحيى
14	/66/64/64/63/62/60) /71/71/70/69/69/67 (136/134)	ق(66/65/64/63/61/60/59/58/57/55) (ذ11/9/68/67)	الحسن بن علي بن يحيى

3.1.2 - القضاة والشعراء:

عدد التكرار	الصفحة	القطعة	القضاة والشعراء
01	44	ق42	القاضي ابن حديد (أحمد بن عبد المجيد المقرئ)
01	ص20	ق2	ابن رحمون الطيب اليهودي
01	99	ق132	ظافر بن أبو القاسم الاسكندري الحداد

وصفات الممدوح خليفة نصره الدين، وإفاضة العدل وحسن السيرة، والسياسة والعلم والحلم والتقى والرأفة والرحمة، والكرم والهيبة. وصفات الممدوح أميراً الكرم، والشجاعة، وسداد الرأي، والحزم والدهاء. وصفات الممدوح وزيراً أو كاتباً العلم والحلم والكرم، وحسن التدبير. وأما صفات الممدوح قاضياً فهي العلم والتقى والدين والنزاهة والعدل بين الخصوم وإنصاف المظلوم⁽¹⁾.

إن بعض الصفات تأتي مشتركة بين هذه الرتب، فلا يمكن أن نجد في المدح قاضياً بخيلاً أو ملكاً غير عادل، وقد مزج أمية بين هذه الصفات كلها، وأضاف صفات أخرى ستبين من خلال النماذج الشعرية.

¹ - ينظر: حازم القرطاجني: المنهاج، ص166-171.

2.2- تشكيل صورة المدح:

1.2.2- المدح بالعقل: قال أبو الصلت⁽¹⁾: [من الكامل]

ملك أعز بسيفه دين الهدى وأذل دين الكفر والإشراك

الصدع بالحجة

وأنا في ظلم الحوادث رأيه فأراك فعل الشمس في الأحلاك

الصدع بالحجة

العلم

الثقافة

والذي دلّ على العقل: أذل دين الكفر بالحجة، وكذا أنار، ولفظة رأيه، أراك فعل

الشمس في الأحلاك دليل على علمه ودرايته. وكذا قوله⁽²⁾: [من البسيط]

يا أرض لولا حلمه ووقاره مادمت ساكنة بغير حراك

الحلم الهيبة

فالحلم والوقار فضيلتان اتسم بهما الممدوح وكلاهما تمس العقل؛ إنه يريد أن يرقى

بممدوحه إلى المراتب العليا. وتأكيدا لذلك ورد قوله⁽³⁾: [من السريع]

يا ابن الملوك الصيد من حميرٍ ووارث المجد القديم الصراح

ليُهنيك الجد الذي نلتَه بالجِد من أمرِك لا بالمزاح

الثبات

العزم

القصْد

العقل

هذه القرائن تدل على سداد الرأي و التمكن من زمام الأمور، وتدل على تحكيم

العقل في تدبر الأمور. وبصيرة و نفاذ رأي إذ يقول⁽⁴⁾: [من المنسرح]

إن ابن يحي كهل البصيرة و الرأ ي وإن لم ينجز مدى الحدث

الواعد الوعد غير منقض والعاهد العهد غير منتكث

هذه الصفات وأخرى تدل على المدح بالعقل، وعلى أن الشاعر يسعى إلى جعل

ممدوحه مثالا يحتذى به في الحلم و الرزانة وحسن السجية فيقول⁽⁵⁾: [من الطويل]

وجر عليهم جهلهم حلم مالك يرق ويحنو كلما ملك الرقا

ولو شاء روى السيف منهم فطالما نضاه فسقاه من الدم ما استسقى

¹ - أبو الصلت: الديوان، ق50، ذ، ص 157.

² - أبو الصلت: الديوان ، ق51، ذ، ص157.

³ - أبو الصلت: الديوان، ق16 ذ، ص 141

⁴ - أبو الصلت: الديوان، ق14، ذ، ص 139.

⁵ - أبو الصلت: الديوان، ق169، ذ، ص124.

ولكن دعاه الحلم والفضل والحجى إلى أن يكون الأحلم الأكرم الأتقى
سجية مجبول السجايا على الهدى إذا غضب استأنى وإن ملك استبقى
وقال يمدح الحسن بن علي بن يحيى بن تميم⁽¹⁾ : [من الكامل]

ملك الزمان وأهله ملك قتل الزمان و أهله علما
الله أكبر نال بغيته فيه الكمال، وأعطى الحكما
قرن الشباب برأي محتتك إن يرم ثغرة حادث أصما
أحياه من رفع السماء بلا عمد، وعلم آدم الأسما
للدين يحرسه ويكلؤه ممن بغى لمنازة هدمما

وفي قصيدة نظمها الشاعر - كما تدل بعض أبياتها- في مدح الأفضل
واستعطافه لاطلاق سراحه قالها من سجنه، وصف فيها الأفضل بأنه حلیم يجب
العفو، منجز لوعوده فقال⁽²⁾ : [من الوافر]

عسى الملك الأجل يفك أسري و يعيدني على الزمن العنيد
حليم يوسع الجانبين عفوا وينجز وعده دون الوعيد

إن الشاعر يأمل عفو الأفضل ويرجو أن يسلم من الوعيد المتمثل في عقوبة
السجن أو حتى في تخفيف عقوبته وذلك بالمدح والاستعطاف.
أما الفضيلة الثانية فتتجلى في المدح بالشجاعة ، والتي أسهب فيها أمية
حسب النماذج الشعرية:

2.2.2- المدح بالشجاعة:

وصف أمية ممدوحه بصفات وفضائل أخرى من بينها الشجاعة والتي كان
يتميز بها أمراء وملوك الأندلس . فهذا الممدوح ذو هممة عالية وعزم كبير على معالجته
المصائب والمشاكل التي تواجهه وتواجه رعيته إذ تراه حاكما مقداما وشجاعا صامدا
أمام الصعوبات والمصائب تبرز في شخصه سمات الشجاعة التي ذكرها حازم في
المنهاج:(الحماية، والأخذ بالثأر ونكاية العدو والدفاع عن الجار والمهابه، والسرى في

¹ - أبو الصلت: الديوان ، ق57، ص62. .
² - أبو الصلت: الديوان ، ق41، ص43.

القفار⁽¹⁾. ومن ذلك ما جاء في الشواهد الشعرية التي بلغت اثنين وعشرين شاهدا شعريا تعرض فيه الشاعر لتصوير شجاعة الممدوح، ومن تلك قوله في مدح علي بن يحيى⁽²⁾: [من المتقارب]

ويوم برزت به ضاحيا	كما برز الليث من غيله
وقد رفع الصبح راياته	وحط الدجى من قناديله
على متن أجرد سامي التل	يل مضمر الكشح مفتوله
تولى الدجى نسج سرباله	وقام النهار بتحجيله
وحولك جيش كفيل الظبا	بقمع العدو وتنكيله
ترى الأسد الورد في درعه	وشمس الضحى تحت إكليله
تضييق البسيطة عن خيله	ولجتها عن أساطيله

لقد نصب المساواة بين شجاعة الأمير وشجاعة الأسد وهذا ما نلمسه في التشبيه الموجود في البيت الأول و البيت السادس (برزت.. كما برز الليث/ ترى الأسد الورد)، فالشاعر يستمد قوة الممدوح من قوة الأسد في الشجاعة وحماية العرين والدفاع عنه، وربما كانت صورة الأسود من أحب الصور الفنية إلى نفوس الشعراء لأنها تجمع بين الثقة والشجاعة والكبرياء⁽³⁾. ومن صور الشجاعة السرى في القفار والفيافي الموحشة، فيقول أمية⁽⁴⁾: [من البسيط]

يا قاتل الله قلبي كم يجشميني	ما يعجز الناس عن هم وإزماع
كم مهمة قذف تمشي الرياح به	حسرى تلوذ بأكناف وأجزاع
لا يملك الذمُّ فيه قلبه فرقا	ولا يهم به طرفٌ بتَهْجَاعِ
يبيت للجن في أرجائه زجل	كالشرب هز بتطريب وإيقاع

1 - حازم القرطاجني : المنهاج، من الصفحة 166 إلى الصفحة 171.

2 - أبو الصلت: الديوان، ق8، ص24.

3 - غازي طليحات وعرفان الأشقر: الأدب الجاهلي قضاياه. أغراضه. أعلامه. فنونه، ص 83.

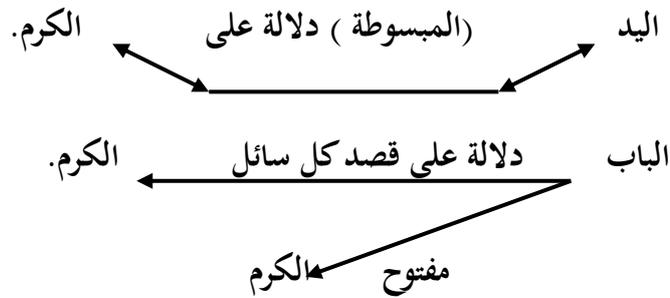
4 - أبو الصلت: الديوان، ق33، ص37-38. مهمة: صحراء، فلاة. قذف: تتقاذف بمن يسلكها. أكناف: ج كنف: الناحية. أجزاع ج جزع : هو منعطف الوادي، أو هي الرملة الملتوية الصعبة . الذم: الشجاع . فرقا: خوفا . تهجاع، هجوع أو نوم . الزجل: الجلبة، أو هي عذيف الجن. يعمل: الناقة المطبوعة على العمل. الهيق: الظليم. تنصاع: تنتقل بسرعة. أنساع ج نسع وهو الحبل العريض. حجاج الطير: أي أن ظلامها مطبق كما تطبق الأجنان على العين، والحجاج العظم المطبق على رقية العين وعليه منبت شعر الحاجب. الغرب: الحد، السيف المنصلت المرهف الصقيل. ينظر: خريدة القصر و جريدة العصر، للعماد الأصفهاني، ج1، ص293.

أعملت للمجد في كل <u>يعملة</u>	كالهيق تنصاع من أثناء أنساع
في ليلة كحجاج الطير دامسة	يأوي بها الذئب من دعر إلى الراعي
مرقت من حوزها <u>كالنجم</u> مرتديا	بمرهف الحد مثل النجم قطاع
لا <u>يكسب</u> المجد إلا كل ذي مرح	يرخي العنان لسيل منه دفاع
بكل أبيض ماضي الغرب منصلت	في كف أبيض رحب الصدر والباع
يلقى الخطوب بجأش <u>غير</u> مكترث	بالنائبات وقلب <u>غير</u> مرتاع

3.2.2- المدح بالعدل :

ويصور فيه الشاعر سماحة الممدوح وجزيل تبرعه وكرمه، وإجابته للسائل وغيرها من الصور الإنسانية الفاضلة، ومن ذلك صورة الكرم في قوله⁽¹⁾: [من الوافر]

جود سميدع خلقت يداه على العالآت من كرم وجود
تبارك من براك بلا شبيهه وخولك الكمال بلا نديد
ببابك تلتقي سبل الأمانى وفيك يبين إعجاز القصيد



وقد تجلّى الكرم في قوله⁽²⁾: [من الكامل]

ملك إذ استمطرت راحته
وافتك تطرد بالغنى العدما
الكرم

¹ - أبو الصلت: الديوان ، ق41، ص43-44
² - أبو الصلت: الديوان ، ق57، ص62.

وكذا في قوله⁽¹⁾: [من الوافر]

وناب به نذاك عن الغوادي وأيسر جودك الجود المعين
فأعشبت بقدمك الأرض و الموامي وروضت الأباطح و الحزون
وقرت بعدما قلقت جنوب وقرت بعدما سخنت عيون
فكان الشاعر بذلك قد استلهم من الطبيعة ما يؤكد تصويره إذ جعل الممدوح
يظهر في صورة : الغيث أو المطر، الذي ينعش الأرض بعد موتها؛ وهي صورة إيجابية
للممدوح:

الممدوح ← المطر ← رمز الجود / (أعشبت / روضت / قرت)
↓
الحياة / صورة إيجابية

وفي إجارة المستجير قال الشاعر⁽²⁾:

وإذا استجرت من الزمان به لم تخش منه أذى ولا غشما

لقد صور أبو الصلت ممدوحه في صورة ذلك الإنسان الذي يسمو إلى الكمال
رغبة منه في اقتصاص الأمن و الاستقرار اللذين حرم منهما فترة من الزمن أيام سجنه
في مصر؛ لذا تراه يطلب الأمن البعيد عن الأذى و الظلم (الغشم)، ويعزز ذلك بوصفه
للمعاملة التي حظي بها في المهديّة زمن يحيى بن تميم الصنهاجي حيث لقي الأمن
و حسن العطاء ، فيقول [من المنسرح]⁽³⁾:

في ظل يحيى أمنت من زمني وطالما بت خائفا شره
وردت من بره ونائله رياض عيش أنيقة الزهرة
يا أطيب الناس كلهم حسبا وأكرم الناس كلهم عشرة

وقوله في تأمين الخائف مادحا الحسن بن علي⁽⁴⁾: [من الوافر]

وكان الغيث إذ كانوا النباتات كما أحيا ندى الحسن البرايا

¹ - أبو الصلت: الديوان ، ق 42 ، ص 45.

² - أبو الصلت: الديوان ، ق 57 ، ص 62.

³ - أبو الصلت: الديوان ، ق 49 ، ص 53.

⁴ - أبو الصلت: الديوان ، ق 11 ، ص 137.

ويحكي الطود في الهيجا ثباتا	يهز الرغد عطيفه ارتياحا
فما أخشى له الدهر ابتاتا	وصلت بحبله الممدود حبلي
بما أولاه من فضل وآتى	ولما حدث الركبان عنه
مروق السهم إذ جد انفلاتا	مرقت إليه من خلل الدياجي
بحيث انقاد لي زمني وواتي	إلى أن حط رحلي في ذراه
ولا فقدت له العلياء ذاتا	فلا عدت به الدنيا جمالا

ومن صور المدح بالعدل تصويره للقاضي ابن حديد ودقة حكمه في قوله⁽¹⁾:

[من الوافر]

وإن سبقوا بوعد لم يمينوا	إذا حكموا بأمر لم يميلوا
ونور الحق متضح مبين	رآك الملك أحزم من لديه
بما ولي وما أولى قمين	فناط بك الأمور وأنت منه
وإن يبطش فأنت له يمين	فإن ينطق فأنت له لسان
لأنك دونه الثقة الأمين	وما استقصاك هذا الثغر إلا

ومن صور العدل أيضا القصيدة التي رفعها إلى الأفضل سنة إحدى وخمسمائة

وهو في سجنه بمصر يرجو منه عدلا وانصافا لتتحقق له الحرية قوله⁽²⁾: [من

الكامل]

وسلكت فيه ذلك الأسلوبا	حييت عدل السابقين إلى الهدى
طفق الغزال بها يؤاخي الذيبا	وبثت في كل البلاد مهابة
ينهل كل بنانه شؤبوبا	وهمت يدا لك بها سحائب رحمة

وقوله في نصرة الدين وإظهار الحق:

متخفيا بيد الردى منكوبا	ونصرت دين الله حين رأيت
-------------------------	-------------------------

يقصد الشاعر هنا المكيدة التي حيكت ضده وكانت سببا في سجنه.

¹ - أبو الصلت: الديوان ، ق42، ص45. ابن حديد المعنى هنا هو أبو طالب أحمد بن عبد المجيد ، الذي نظم فيه الشعراء في ذلك الزمن مدائح كثيرة ينظر الديوان، ص44.

² - أبو الصلت: الديوان ، ق168، ص122.

4.2.2- المدح بالعفة:

وهي من صور المدح التي خص بها الشاعر ممدوحه متجليةً في القناعة وطهارة الإزار، وقلة الشره. ومن النماذج التي ذكرها أبو الصلت في ذلك :

-مدح في الهيئة من خلال اللباس وطهارة الإزار في قوله⁽¹⁾ : [من الكامل]

رشاً ينير دجى الظلام بغرة	كالبدر بل كالشمس في الإشراق
كتب الجمال بخطه في خده	هذي بدائع صنعة الخلاق
الدعص حشو إزاره والغصن ط	يُّ وشاحه والبدر في الأطواق

3- الحكمة:

جاء في معجم العين (الحكمة مرجعها إلى العدل والعلم والحلم. ويقال: أحكمته التجارب إذا كان حكيماً)⁽²⁾ ، ومن ذلك قوله عز وجل ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ {لقمان/ 12} أي العلم و الفهم، والحكمة في مقاييس اللغة هي (المنع ويقال حكمت السفية وأحكمته، إذا أخذت على يديه.. والحكمة هذا قياسها، لأنها تمنع من الجهل.. والمُحكَم: المجرب المنسوب إلى الحكمة)⁽³⁾.

والحكمة بالمعنى الاصطلاحي تفكر وتدبر في دقائق الأمور انطلاقاً من تجارب خاصة، وهي في الشعر (تلخيص الفكر العميق باللفظ الدقيق في دلالاته على المعنى، أو تضمين الأبيات القليلة معاني جليلة درج العرب على تسميتها جوامع الكلم)⁽⁴⁾؛ فالحكمة إذن خلاصة تجارب شخص خبر الحياة وعرف مقاييسها، فتجسدت في نمطين إما في الأشعار، وإما في الأمثال⁽⁵⁾ ، والذي يهمنا هاهنا الشعر من خلال ديوان أمية، فما هي صور الحكمة التي توشح بها هذا الديوان؟ وإلى أي مدى دلت على رؤية الشاعر؟

¹ - أبو الصلت: الديوان ، ق 48، ص156.

² - الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، باب الحاء، ج1، ص343.

³ - ابن فارس: مقاييس اللغة، جزء3، ص91.

⁴ - غازي ظليمات وعرفان الأشقر: الأدب الجاهلي قضاياه. أغراضه . أعلامه. فنونه. ص208.

⁵ - المرجع نفسه، ص209.

الفصل الأول: الصور في الأعراس الشعرية

إن الشاعر بحكم ما عاش وما خبر من تجارب الحياة انطلاقاً من محطات حياته أضحى له رؤية خاصة تجاه الحياة جراء المحن التي عرضت له، فصقلته وجعلت له رؤية يقينية نافذة تبينت من خلال تلك الشواهد الشعرية التي تجسدت في عشرين قطعة من الديوان حسب ما هو مبين في الجدول الآتي :

رقم القطعة	التردد	الصورة / الغرض
في الديوان 14-38-40-93-94-102-106-108-112-	15	الحكمة
-149-138-136-134-133-126		20
في ذيل الديوان 7-43-53-54-67.	05	

ومن هذه الشواهد حديثه عن الوفاء⁽¹⁾: [من الوافر]

إذا ألفت حُرّاً ذا وفاءٍ وكيف به فدونك فاغتمه
وإن آخيت ذا أصل خبيث فساءك في الفعال فلا تلمه
وقوله عن العمر⁽²⁾: [من الطويل]

تفكر في نقصان مالك دائماً	وتغفل عن نقصان جسمك والعمر
ويشيك خوف الفقر عن كل بغية	وخوفك حال الفقر شيء من الفقر
ألم تر أن الدهر جمم صروفه	وأن ليس من شيء يدوم على الدهر
فكم فرحة فيه أديلت بقرحة	وكم حال عسر فيه آلت إلى اليسر

يرى الشاعر أن الإنسان الذي يخشى غيلة الفقر مبهور بسلطان المال و ليس مدركاً للعمر الذي يمضي من حيث لا يدري، إنه يرى الحياة دولا فيها العسر وفيها اليسر الذي يخلفه، ولكن هذه النظرة لا يتبصرها الغافلون.

وفي تصويره للخيانة أو الطعن في الظهر قال⁽³⁾: [من البسيط]

مارست دهري وجربت الأنام فلم	أحمدهم قط في جد ولا لعب
وكم تمنيت أن ألقى به أحدا	يسلي من الهم أو يعدى على النوب
فما وجدت سوى قوم إذا صدقوا	كانت مواعيدهم كالآل في الكذب

1 - أبو الصلت: الديوان ، ق 14، ص27.

2 - أبو الصلت: الديوان ، ق 93 ، ص83-84.

3 - أبو الصلت: الديوان ، ق 108 ، ص89. قال الشاعر هذه الأبيات في تلميذه أبي عبد الله الشامي، إذ كان يختلف إليه في أثناء سجنه بدار الكتب الحكيم أرسطاطاليس بالأسكندرية، فصادفه مرة مطرقاً لم يرفع إليه رأسه كالعادة فسأله فلم يرد الجواب، ثم أنشده بعد ساعة البيتين الأخيرين، مفسراً إياهما بأن أحد تلامذته قد طعن فيه عند الأفضل. للاستزادة ينظر معجم الأدباء لياقوت الحموي.

وكان لي سبب قد كنت أحسبني	أحظى به وإذا دائي من السبب
فما مقلّم أظفاري سوى قلّمي	ولا كتائب أعدائي سوى كتبي

إن الذي دلّ على التجربة والحكمة في هذه الأبيات (مارست دهري/جربت). أما الخيانة فظهرت في (كم تمنيت أن ألقى.../يسليني من الهم/السجن) ولكنه طعن في من كان يحسبه دواءً (قد كنت أحسبني..). وهو تلميذه؛ فكان العزاء في قلمه وكتبه . ومن صوره الحكمية: حديثه عن العمل وطلب الرزق⁽¹⁾: [من البسيط]

لا تفعدنّ بكسر البيت مكتئبًا	يفنى زمانك بين اليأس والأمل
واحتمل لنفسك في شيء تعيش به	فإن أكثر عيش الناس بالحيل
ولا تغلّ إن رزقي سوف يدركني	وإن قعدت فليس الرزق كالأجل

وقال في التمسك بقضاء الله وقدره⁽²⁾: [من مجزوء الرجز]

لا ترجُ في أمرك سعد المشتري ولا تخف في قربه نحس زحل
وارجُ وخف ربّهما فهو الذي ما شاء من خيرٍ ومن شرٍّ فعل

إن توظيف الشاعر لكوكبي زحل والمشتري دليل على ثقافته الفلكية وقد

سبقت الإشارة لهذه الفكرة في ترجمة الشاعر.

إن هذه الصور الحكمية تدل على نفاذ بصيرة الشاعر وكذا على اللقب المنسوب إليه (الحكيم)، كما تدل على رقي عقليته و تفكيره و تأمله في قضايا الناس و الحياة، فقد وظف ثمرة تجاربه في نظم درر حكمية خالدة، وقد تتقاطع الحكمة مع الزهد في الرؤية اليقينية وفلسفة التأمل والرضا بالقضاء والقدر .

4- الغزل:

جاء في المقاييس : (الغزل، وهو حديث الفتيان والفتيات)⁽³⁾، وترد هذه

الكلمة بمعنى النسيب والتشبيب. أما عند ابن رشيق فإن (النسيب والتغزل والتشبيب

كلها بمعنى واحد. وأما الغزل فهو إلف النساء، و التخلق بما يوافقهن)⁽⁴⁾؛ لذا

¹ - أبو الصلت: الديوان ، ق136 ، ص 100

² - أبو الصلت: الديوان ، ق 149، ص 105.

³ - ابن فارس: مقاييس اللغة، ج4، ص 422.

⁴ - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص 65.

الفصل الأول: الصور في الأعراس الشعرية

عُدَّ الغزل من أبرز الموضوعات وأعلقها بالقلب وأقربها إلى طبيعة الإنسان ، وهذا ما أشار إليه ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء في حديثه عن بناء القصيدة (سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتداء فيه بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى وشكا وخاطب الربيع، واستوقف الرفيق ليُجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين... ثم وصل ذلك بالنسيب ، فشكا شدة الشوق، وألم الوجد و الفراق، وفرط الصباية، ليميل القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه. (1). فكان الغزل بذلك في مفتح القصائد لما له من إمكانية التأثير على السامع/ المتلقي، وليتمكن الشاعر من إيصال صورته الشعرية /الرسالة في ظروف مواتية. وقد ترددت صورة الغزل في ديوان أمية الشعري أربعة عشر مرة كما هو مبين في الجدول الآتي:

رقم القطعة	التردد	الصورة / الغرض
الديوان 4-11-75-120-139.	05	الغزل
ذيل الديوان 13-15-21-29-37-41-56-58-66	09	14

وجاء الغزل عند أمية على شكل مقطوعات ، فتجدها زاخرة تجمع بين الصورة المادية والصورة المعنوية لجمال المرأة، ومما يطالعنا من تلك النماذج صورة غزلية يمزج فيها الشاعر صورة المرأة بصورة الغزال، والدرّة البكر فيقول (2): [من السريع]

بي من بني الأصفر ريمٍ رمى	قلبي بسهم الحور الصائب
سهم من اللحظ رمتني به	عن كذب قوس من الحاجب
وكم تحرّزتُ فلم يُغني	ما حيلتي في القدر الغالب
علقته علقا تريع النهى	منه إلى مُصبٍ لها سالب
كالدرة البكر التي لم تُشن	بالعيب من قطر ولا جالب
كأنما مقلته في الحشا	سيف علي بن أبي طالب

1 - ابن قتيبة : الشعر و الشعراء، تحقيق أحمد محمود شاكر، دار المعارف، القاهرة، ج1، ص74.
2 - أبو الصلت: الديوان ، ق4، ص23.

فالصورة مادية تمثل جمال المرأة التي وله بها الشاعر ، ليواصل تصويره المادي ويقرنه بجانب من شخصيتها، وهي أنها غير مكترثة بمشاعره دائمة الصدود عنه،
فيقول⁽¹⁾: [من الخفيف]

أسلفتني الغرام سالفته	وأطارت عني الكرى طرتاه
وأعانت وجدي على الصبر عينا	ه فويحي مما جنت عيناه
رشأ ورده المدامع والأضـ	لع مأواه والحشا مرعاه
لم يعدني بالوصل يوما فأخشى	بتمادي الصدود أن ينساه

إن الصورة ذاتها تتكرر، فالموقف لا يختلف عن سابقه في التعبير عن ألم الشاعر وعن جمال المرأة، فالصورة إذن صورة نمطية وهي امتداد لشعر الغزل عند الأسبقين، سواءً أكانوا من أهل الأندلس، أم كانوا من المشرق.
والملاحظ في صور الشاعر الغزلية أنها لم تكن قصائد طويلة بقدر ما كانت مقطوعاتٍ قصارًا امتازت بالبساطة والحديث المباشر عن الموضوع ، وهذا قد يعني أن الشاعر في هذا الغرض كان يسعى لمجارة القدامى، فالمعجم الشعري الذي نظم منه لا يكاد يختلف عن العصور الماضية ومن ذلك قوله⁽²⁾: [من المنسرح]

قامت تدير المدام كفها	شمس ينير الدجى محياها
إن أقلت فلقضيب قامتها	أو أدبرت فالكثيب ردفها
للمسك ما فاح من مراشفها	والبرق ما لاح من ثناياها
غزاة أحجلت سميتها	فلم تُشَبَّ بها وحاشاها
هبك لها حسنها وبهجتها	فهل لها خدها وعيناها

لقد وصف المرأة في جمالها بالريم والرشأ والغزال والشادن شكلا وهيئة مرغوبا فيهما، كما وصف طبيها - في شواهد أخرى- بالمسك، وريا القرنفل، وبياض أسنانها بالبرق، وغيرها من الصور المادية التي فيها الشيء الكثير من الشعر القديم كنوع من

¹ - أبو الصلت: الديوان ، ق75، ص76.
² - أبو الصلت: الديوان ، ق120، ص94.

التوظيف الشعري أو التفاعل النصي. وجاء تصويره دقيقا جيد السبك رقيقا ممزوجا
بجزالة، وهي كما عبر عنها ابن بسام: (وذهب كلامهم بين رقة الهواء، وجزالة
الصخرة الصماء)⁽¹⁾.

وهناك ظاهرة أخرى وظفها أمية في ديوانه وهي صورة التغزل بالغلما، وعلى
حسب ما ورد من تاريخ الأدب الأندلسي أنه لون غزلي جديد عرف طريقه في
الأندلس بصورة ذائعة لم يعهدها الشعراء المشاركة بسبب الهيبة و الدين⁽²⁾، وأهل
الأندلس يردون سبب الذبوع إلى الحياة اللاهية و انتشار أسواق الجواري والغلما⁽³⁾.
والمرجح أن هذا الشاعر الفيلسوف قضى ربيع حياته في سجن الإسكندرية، ولم يعيش
في جو الأندلس المترف إلا بعد أن خبر الحياة وذاق مرارة عيشها فكان بذلك مجرد
واصفٍ لبعض حالات عصره .

5- الهجاء والذم:

جاء في معجم العين: (هجا يهجو هجاءً وهو الوقيعة في الأشعار)⁽⁴⁾، فهو
إذن شتم بالشعر، وهو خلاف المدح. وعن ابن فارس: ((هجو) هجاه، إذا وقع فيه
بالشعر، وذلك الشعر: الهجو، والهجاء: المهاجة)⁽⁵⁾.

أما في الاصطلاح، فهو فن من فنون الشعر يصور عاطفة الغضب أو
الاحتقار أو الاستهزاء ومن خلاله يرسم الشاعر لخصومه النموذج القبيح، فيصفهم
بكل صفات القبح ويسلبهم كل الصفات الفاضلة أو بعضها⁽⁶⁾.

فالهجاء إذن ضد المديح، إنه سلاح لا يقل قوة عن الأسلحة المادية، إذ يروى أن
الرسول صلى الله عليه وسلم قال لحسان بن ثابت عندما هجا قريشا: (لشعرك أشد
عليهم من وقع النبال)⁽⁷⁾ فكان الهجاء بذلك محركا قويا لحركة المجتمع العربي القديم إذ

1- ابن بسام: الذخيرة في ذكر محاسن أهل الجزيرة، ص141.

2- مصطفى الشكعة: الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1975، ص187.

3- جودت الركابي: في الأدب الأندلسي، دار المعارف، مصر، ط2، ص121.

4- الخليل بن أحمد: العين، ج4، باب الهاء، ص296.

5- ابن فارس: مقاييس اللغة، ج6، ص36.

6- ينظر: حسني عبد الجليل يوسف: الأدب الجاهلي قضايا، وفنون، ونصوص، ص99. وينظر فوزي عيسى: الهجاء في
الأدب الأندلسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2007، ص12.

7- ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص277.

(يكشف عن زيف الناس، ويُقَوِّمُ الانحراف، ويتبع الفساد أنى كان) (1)، وكانت مهمته التطهير والتصويب.

وعادة ما يكون في الهجاء صدق أكثر مما يكون في المدح لأن (الأول أقرب إلى الانفعال النابع من الذات، والثاني أقرب إلى الانفعال الطارئ على الذات) (2). وهذا لا ينفي مصداقية المدح؛ لأن دافعه قد يكون الإعجاب المحض بفضائل الممدوح الفعلية غير المتصنعة، وقد يكون الهجاء بدافع الغيرة وبغية التكسب شأنه شأن مدح التكسب، وتكسب الهجاء قليل الرواج مقارنة بالمدح (3) وهو الذي تحركه دوافع نفسية أساسها الانتقام والكره أو بدافع الامتعاض .

والهجاء في عمومه صفة ذميمة تحفظ منها الكرماء ، إلا أنها كانت ضرورية في بعض الأحيان، لما تعود به من مصلحة على المجتمع و الأمة و الإسلام حينما يتعرض لهم عارض يأبى إلا الفتك بهم، وهذا ما أشار إليه النويري إذ يرى الهجاء يستحقه كل من (اتصف بسوء الخصال، واتسم بأخلاق الأرزاق، والأندال، وجعل اللؤم جلبابه، وشعاره، و البخل وطاره ودثاره) (4) .

ينطلق الهجاء من الوسط الاجتماعي السيء لينتقده، وهذا ما تبين في شعر أبي الصلت إذ كان هجاؤه في معظمه مقتطفات منتظمة في أسلوب واضح اعتمد فيه طابع تضخيم الأشياء أو إبداء التناقض فيها، ليثير روح الدعابة والفكاهة. تردد هذا الغرض أحد عشر مرة (11) حسب ما هو مبين في الجدول الآتي:

رقم القطعة	التردد	الصورة / الغرض
الديوان 23-26-83-88-103-130-	06	الهجاء
ذيل الديوان 20-25-49-59-60.	05	11

1 - ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص 277.

2 - غازي ظلمات وعرفان الأشقر: الأدب الجاهلي، ص 180.

3 - نفسه، ص180.

4 - النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) : نهاية الإرب في فنون الأدب، ج 3، ق2، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ص 267.

الفصل الأول: الصور في الأعراس الشعرية

كما بلغت نسبة تردد الظم الذي يعد مرادفا للهجاء أوقريبا منه على أساس أن الغرض المرجو من كليهما هو التصحيح أو التحسين، حسب ما هو مبين في الجدول الآتي:

رقم القطعة	التردد	الصورة / الغرض
الديوان 29-104-122-157-	04	الظم
ذيل الديوان 2-10-63-64-70.	05	09

ومن الشواهد الشعرية ما قدمه في هجاء طيب اسمه "شعبان" إذ اتخذ الشاعر

من اسم هذا الطيب أداة لهجائه فيقول⁽¹⁾: [من مجزوء الرمل]

يا طيبيا ضجر العالم	منه وتبرم
فيك شهران من العام	إذا العام تصرم
أنت شعبان ولكن	قتلك الناس المحرم

وقال يهجو مغنيا قبيح الصورة حسن الصنعة⁽²⁾: [من مجزوء الرمل]

لنا مُسْمَعٌ ما في الزمان له نُدُّ	ولكنه في قبح صورته قرد
لطرفي وسمعي منه حالان هذه	لهذي إذا قايست بينهما ضد
يُعَذَّبُ طرفي حين يلحظ وجهه	ويَنَعَمُ سمعي دونه عندما يشدو
إساءة مرآه لإحسان فعله	كفاء، فلا نحس يدوم ولا سعد

إن الشاعر يمدح ويذم في آن واحد، وهو أمر فيه مفارقة، فهو معجب بصوت

المغني، ولكن ذلك لم يردعه عن مسك لسانه من نعتة ب(القرد) في منظره. وقال في

رجل يدعي الكتاب والأدب يعرف بالقاسمي⁽³⁾: [من البسيط]

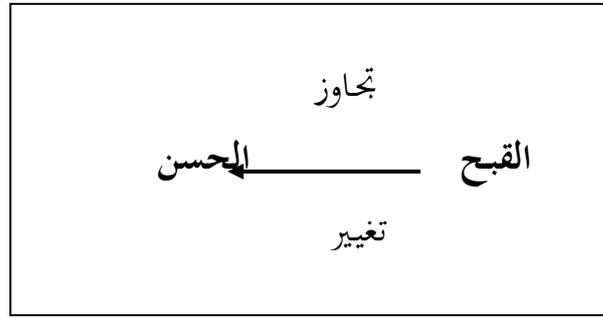
يا نفس ياسا فلقد	مات الكرام و أودت جلة الناس
أودوا وكانوا إذا عادوا بعارفة	عادوا بأوسع ترحيب وإيناس
وخلفوني لقوم إن ذمتهم	فما عليّ وإن أفحشت من باس

¹ - أبو الصلت: الديوان، ق 59، ص 161.

² - أبو الصلت: الديوان، ق 20، ص 143

³ - أبو الصلت: الديوان، ق 26، ص 34-35.

فتراهم حين أبصرهم ما بين دب وخنزير ونسناس
من كل أرعن لا يعزى إلى أدب ولا حفاظ ولا جود ولا باس
عار من الفضل إلا أنه أبدا بأقبح العار من أفعاله كاس
لقد حكم الشاعر على هذا المدعي بالكذب انطلاقاً من علامات دلت على ذلك وهي: عدم حفظه/ليس له فضائل/ليس جواداً؛ فكان أساس الهجاء عنده الرغبة في التغيير على أساس المطابقة أو التقييح، أو الرغبة في التحسين لذات العلة؛ فبيّن التقييح بغية الوصول إلى الحسن، وهي مرحلة فيها نوع من الرغبة التجاوزية.



ومن الشواهد الدالة على الذم نذكر قوله: [من السريع]⁽¹⁾:

أنبأني ما رأيت من كسلك أن ليس فكُّ العويص من عملك
فلا تكن بالعلوم مشتغلاً مادام حب الفراغ من شغلك
لم تُؤتمن قلة الذكاء أبا ال فتيان، لكن آتيت من مللك
6- الرد على الرسائل (فن المراسلات) :

لغة: من مادة (رسل) وتدل على (الانبعاث والامتداد.. والرسل ما أرسل من غنم إلى الراعي.. واسترسلت إلى الشيء إذا انبعثت نفسك إليه وأنست، والمرسلات، الرياح..)⁽²⁾ . هذا الفن يقصد به ما كان يبعث من شعر أو نثر بين الأدباء كنوع من المجارة الأدبية، أو كنوع من الصداقات التي تقرها الكتابة بين المتباعدين. وقد ورد هذا الفن غير مرة في ديوان أبي الصلت، وهذا يدل على الامتزاج في المجتمع الأندلسي بمختلف فئاته بعضها مع بعض، وكذا المجتمعات المجاورة، فأراد الشاعر التعبير عن مشاعره إزاء غيره من الشعراء أو الحكام و الأمراء من تهنئة أو تعزية

1 - أبو الصلت: الديوان ، ق157، ص107.
2- ابن فارس: مقاييس اللغة، ج2، ص392-393.

أو دعوة في صيغة تراسل، وهناك من يطلق عليه -فن الترسل- اسم "المطارحات"، وهذا ما تجلّى في ديوان أمية، إذ كان له تنوع آخر في هذا الموضوع، و ذلك نتيجة الرابط الاجتماعي الذي جمع بين هذا الشاعر وبين باقي فئات المجتمع، فقد تردد هذا الغرض في الديوان أحد عشر مرة (11) كما هو مبين في الجدول الآتي:

رقم القطعة	التردد	الصورة / الغرض
الديوان 46-47-71-72-73-82-98-101-109-123	11	الرد على الرسائل 11

ومن الأمثلة الموضحة نذكر أنه أجاب عبد الله بن بشير التتوخي عن قطعة في نفس الروي والوزن ⁽¹⁾: [من الخفيف]

غير مُجدٍ ملامٍ غير مُصيخ ومُمضّ الكلام كالتوبيخ
أنت في اللوم لي كمن لقي النا ر بريحٍ وقال يا نار بوخي
بأبي من تنوخ، والمجد والسو د وقف على سراة تنوخ

ومن رسائله أيضا رسالة كتبها إلى أبي الضوء سراج بن أحمد بن رجا الكاتب جوابا له فقال ⁽²⁾: [من المتقارب]

أزهُرُ الربى إثر صوب الغوادي؟ أم الحلبي فوق نحور الغواني
أم الإلف زار بلا موعد فأبراني منه ما قد براني
وغيض دمعي وكم قد طفقت وعينا عيان نضاختان
ويواصل فيقول:

ولم أدر أن بنات العقو ل تفعل فعل بنات الدنان
وما السحر سحر مراض الجفون ولكنما السحر سحر البيان
كتاب نفيت اكتتابي به ونلت الأمانى بظل الأمان
أتى من بعيد مرامي الضمي ر والفكر مرهف غرب اللسان
زرى في الترسل بابن العميد كما قد شأى في القريض ابن هاني
صفيّ نأى و دنا ذكره فناب السماع مناب العيان

¹ - أبو الصلت: الديوان ، ق46، ص48. وهو عبد الله محمد بن عبد الصمد بن بشير التتوخي المهدي من شعراء الأمير علي بن يحيى بن تميم. معاصر لأمية بن أبي الصلت، ينظر: الخريدة، ج 1 ص 255. المعنى أنه لا يجدي توجيه لمن لا يسمعه، والنصيحة القاسية تشبه التوبيخ/ بوخي: بمعنى اخمدي. أي النار. ينظر: الخريدة، ص 255.
² - أبو الصلت: الديوان ، ق71، ص72. الغوادي: ج غادية: وهي السحابة التي تنشأ غدوة أو مطرة الغداة، عين نضاخة : فؤارة غزيرة، يشير إلى قوله عز وجل: "فيها عيان نضاختان" [سورة الرحمن/الآية 66].

أبا الضوء سُدت فبات الحسود يراك حيث يُرى الفرقدان
ومن رده له أيضا قوله (1) : [من البسيط]

أبا الضوء وافاني كتابك يزدهي به النثر من تلك البلاغة و النظم
كتاب لو استدعى به العصم قانص لما استعصمت من أن تخرَّ له
العُصم

ولما فضضت الختم عنه تضيعت لطيمة سفر فض عن مسكها الختم
فدم وابق واسلم واستصل عزة وصلٍ وسد وارق واغتم واستزد رفعة وانم
فلن يتنافى اثنان رأيك والنهي ولن يتلاقى اثنان فعلك و الدم
ومن جميل مراسلاته الرسالة التي بعث بها أبو محمد عبد الجبار بن حمديس الصقلي إليه
قائلا (2) : [من الطويل]

ولو أن من عظمي يراعي ومن دمي مدادي ومن جلدي إلى مجده طرسي
وخاطبت بالعلياء لفظتا منقحا وخططت بالظلماء أجنحة الشمس
لكان حقيرا في عظيم الذي له من الخفق في نفس الجلال فدع نفسي
ومألكة منه ملكت بها المنى وقد شردت عني التوحش بالأنس
وقابلت منها كل معنى بغرة يلوح لعين الوهم في دهمة النفس
كأني في روض أنزه ناظري جليل معانيه يدق عن الحس
مقلت بعين منه خط ابن مقلة وقص على سمعي الفصاحة من قس (3)
وخفقت عليه عين سحر تصييه فصيرت تعويذي له آية الكرسي
بعد هذه الرسالة الجملة لابن حمديس يرد عليه أبو الصلت مجيبا (4) : [من الطويل]

ولم تهد نحوي الروح منه إلى
الأسى
ولكن نفخت الروح في ساكن الرمس

1 - أبو الصلت: الديوان ، ق72، ص74.العصم: الظباء أو الوعول التي في ذاراعها أو في إحداهما بياض وسانرها أسود وأحمر، وهي تسكن في أعالي الجبال ومن الصعب اصطباذها.ينظر: الخريدة، ج1، ص346. لقد حشد الشاعر في هذا البيت عشرة أفعال، وقد ألع بهذا النهج تقليدا للمتنبى الذي جمع في بيته أربعة عشر فعلا، هحيث يقول:
أقل، أنل أقطع أحمل عل، سل، أعد *** زد، هش، بش، تفضل، أدن، سر، صل.(الخريدة ص346).

2 - أبو الصلت: الديوان ، ق98، ص85.

3 - أظنه قسا بن ساعدة الإيادي خطيب العرب في الجاهلية.

4 - أبو الصلت: الديوان ، ق99، ص86.

وما روضة بالحزن جيدات بواكف	من المزن محجوب به حاجب الشمس
سرى زجل الأكناف حتى تحلبت	مدامعه بالري في تربها اليبس
تمر بها ريح الجنوب علية	فتبعث أنفاس الحياة إلى النفس
بأبدع من خط ولفظ تداعيا	بذي الحسن في تلك اليراعة والطرس
كأنني من ميماته مرتشف	حروف شفاه عاطرات اللمي لعس
بعثت به أنسي وقد كان عاريا	فلا غرو أن أسميته باعث الأنس
وإني أن عارضته في رويه	كملتس نيل الكواكب باللمس

لقد نسج أمية على منوال ابن حمديس في الوزن والقافية، وبين كل منهما أهمية الرسالة وأثرها في النفس؛ وذلك أنها تخرج من وحشة الوحدة وأنها أنس، فقال ابن حمديس: (وقد شردت عني التوحش بالأنس) ، أما أبو الصلت فقال: (بعثت به أنسي وقد كان عاريا// فلا غرو أن سميته باعث الأنس) ؛ ولذا بات فن الترسل أو المراسلة أمرا طبيعيا أثمر أدبا زاهرا بيّن الشاعر من خلاله إبداعه، كما كان متنفسا قربت به المسافات وزالت بقرائته وسماعه الوحشة والأحزان.

7- الرثاء:

جاء في لسان العرب: (رَثَأْتُ الرَّجُلَ رَثَاءً: مَدَحْتُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، لُغَةٌ فِي رَثِيَّتِهِ. وَرَثَاءُ الْمَرْأَةِ زَوْجُهَا، كَذَلِكَ؛ وَهِيَ الْمَرْتِيَّةُ. وَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْعَرَبِ: رَثَأْتُ زَوْجِي بِأَبْيَاتٍ، وَهَمَزْتُ، أَرَادَتْ رَثِيَّتَهُ. (1). فتبين أنه لا يوجد فرق بين الرثاء والمدح إلا (أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه هالك مثل: كان، وتولى، وقضى نحبه، وما أشبه ذلك) (2).

إن الرثاء عموما غرض من أجود الأغراض الشعرية، لأن أساسه الصدق في الشعور، ويتصل بقضية الإنسان والزمن (3). إذ يعمد الشاعر إلى إظهار التفجع والأسى على من فقد، ومما يدل على شدة تأثيره في النفوس ما روي من أقوال العرب حيث (قيل لأعرابي ما بال المراثي أجود أشعاركم؟ قال: لأنا نقول وأكبادنا تحترق)

1 - ابن منظور: لسان العرب، مادة: (رثأ)، ج ، ص 84.

2 - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص 118.

3 - حسني عبد الجليل: الأدب الجاهلي قضايا، فنون، نصوص، ص 349.

الفصل الأول: الصور في الأعراس الشعرية

(1) حزنا على فقدان شخص عزيز، أو قد نرثي ماضيا أو قد نرثي مكانا كما هو الحال في بيعة الأندلس إذ شاع هذا اللون بسبب الأحداث المتلاحقة، والصراع المستمر بين الأندلسيين وغزاتهم من إفريقيا فبكى الشعراء، ومن هنا أصبح بكاء الممالك المنهارة والمدن الذاهبة فن أندلسي أصيل. أما في ديوان أبي الصلت وبحكم ترحاله الدائم لم ينظم في رثاء المدن، وإنما مرثياته كانت تدور حول فقد قريب أو صديق أو ملك، ممزوجة بالأسى و التأثير لفراق الفقيد و التسليم بقضاء الله وقدره، وهذا ما تبين في ديوانه إذ بلغ تردد هذا اللون تسع مرات كما في الجدول الآتي:

رقم القطعة	التردد	الصورة / الغرض
الديوان 43-44-54-165-	04	الرثاء
ذيل الديوان 12-22-35-38-44.	05	09

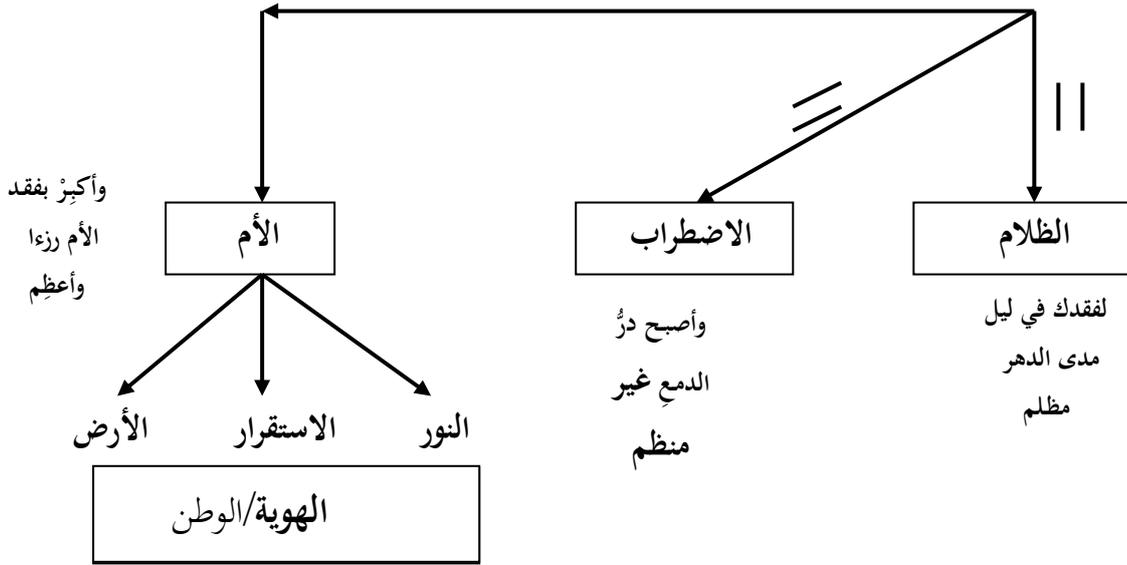
يتبين للمتأمل في رثائيات أبي الصلت مدى حزن الشاعر وتحسره لفراق والدته، التي تركت فراغا كبيرا في حياته، وجعله يعيش في هم ووصب دائمين، ففقدانها قد أشعل نارا في قلبه لا تنطفئ إلا برؤياها، فنظم فيها قصيدة مطولة باكية تستثير النفس لوعة، وذلك في قوله⁽²⁾: [من الطويل]

ولا تسأمي أن يستهل وتسجم	مدامع عيني استبدلي الدمع بالدم
لأوجب من فارقت حقا وألزم	لحق بأن يبكي دما جفن مقلتي
فعاد سحيلا منهم كل مبرم	أخلاء صدق بدد الدهر شملهم
وأيمن أيمان وأعظم أعظم	طوت منهم الأجدات أوجه أوجه
ككثرة أشجاني ولهفي عليهم	فقد كثرت في كل أرض قبورهم
ولكنها حقا مساقط أنجم	وما تلك لو تدري قبور أحبة
وأكبر بفقد الأم رزا وأعظم	رزئتك أحنى الناس بي وأبرهم
وأصبح دُرُّ الدمع غير منظم	فأصبح دُرُّ الشعر فيك منظمًا
فباق على الأيام لم يتصرم	تصرم أيامي وأما تلهفي
نضحن على جيب القميص بعندم	كأن جفوني يوم أودعتك الشرى

¹ - الجاحظ: البيان و التبيين، ج2، ص320.
² - أبو الصلت: الديوان، ق54، ص57.

سوى موجع لي بآذكارك مؤلم	يهيج لي الأحزان كل فلا أرى
وأبكي للمع البارق المتبسم	أنوح لتغريد الحمام بالضحى
على كبد حرى وقلب مكلم	وأرسل طرفا لا يراك فأنطوي
لفقدك في ليل مدى الدهر مظلم	وما أشتكي فقد الصباح لأنني
يطول عليك الليل ما لم تهوم	تطول ليالي العاشقين وإنما
بأقصر من ليل المحب المقيم	وما ليل من وارى التراب حبيبه
وأبق جميل في الأسي من متمم	فكم بين راج للإياب وآيس
فكم ضم من مجد بها و تكرم	سقى الله تربا بالمنستير ضمها
يطول عليك الليل ما لم تهوم	تطول ليالي العاشقين وإنما
فعش واحدا ما عشت تنح وتسلم	ولم يبق في الباقي حافظ خلة
بإضحاك وجه الحادث المتجهم	تجهمني دهر، وكنت ملية
بقدرك عن خلق إلى النقص منتم	تجنب أخلاق النساء إنافة

تدل هذه المرثية على عظم الموضوع (فقد الأم)، ولم يتكلف الشاعر في تصويره لأحاسيسه فقد نسجت في شكل صور بكائية قائمة على التشبيهات والتأكيدات والمبالغات وعقد المقارنات بشكل يكشف عن مدى قوة وقع الأمر على نفسه وتأثره به، وعادة ما تكون معاني الرثاء مشتركة سواء أكانت تأثرا بشعراء سبقوه من المشرق أو من نفس البيئة، أم كانت من إبداع الشاعر ليؤثر على المتلقي في قالب جمالي.



إن المتمعن في هذه الأبيات يتبين كثرة استعمال الشاعر للألفاظ الدالة على الحزن والألم بفقدانه لوالدته: (مدامع عيني استبدلي الدمع بالدم، يبكي دما جفن مقلتي، فارقت، أخلاء صدق بدد الدهر شملهم، طوت منهم الأحداث، كثرة أشجاني ولهفي، وأكبر يفقد الأم رزءا، وأصبح دُرُّ الدمع غير منظم، جفوني.. نضحن على جيب القميص، يهيج لي الأحزان، أنوح لتغريد الحمام، وأبكي للدمع البارق المتبسم، كبد حرى وقلب مكلم. وما أشتكي فقد الصباح لأنني.. لفقدك في ليل مدى الدهر مظلم).

وبمضي الشاعر في رثائه لوالدته، لكنه هذه المرة يستعمل الألفاظ التي تدل على تسليمه لحكم الله و قدره، ومحاولا أن يجعل وقته مخصصا للتوبة و الرجوع إلى الله: (هو الموت لن ينجي الفتى منه مهرب.. ولو رام أسباب السماء بسلم، ولا بد من كاس الحمام روية.. لمستأخر في العمر أو متقدم).

وفي صورة أخرى يرثي أمية فقد صديقه وجاره: [من البسيط]⁽¹⁾:

قد كنت جارك والأيام ترهيني ولست أرهب غير الله من أحد
فنافستني الليالي فيك ظالمة وما حسبت الليالي من ذوي الحسد

¹ - أبو الصلت: الديوان، ق22، ص144. والبيتلن من قصيدة في رثاء أحد أمراء المهديّة.

إن الشاعر صور الليالي في صورة الظالم، صورة الموت الذي لا يبقى على أحد، وكأن الظلام قبل إنجلائه يجب أن يأخذ معه (كنوع من المنافسة) حسب تعبير الشاعر، ولكن هذه المنافسة فيها ضيم وأخذ بالقوة. وتكرر نفس الصورة في رثائه لأم يحيى بن تميم الصنهاجي⁽¹⁾: [من الطويل]

تضايقنا الدنيا ونحن لها نهب	وتوسعنا حزنا ونحن لها حرب
وما وهبت إلا استردت هباتها	وجدوى الليالي أن تحققها سلب
نؤمل أن يصفو بها العيش ضلة	وهيهات أن يصفو لساكنها شرب

إلى أن يقول⁽²⁾:

ألا إن أيام الحياة بأسرها	مراحل نطويها ونحن بها ركب
تصيب المنايا كل شخص رمينه	وسهم المنايا لا يطيش ولا ينبو

صور الشاعر عظمة الموت بنوع من الفلسفة والتأمل مجسدا صوت الرجل الحزين⁽³⁾، حين يقف عاجزا أمام سهامه، كل ما يحق له هو أن يطوي المراحل وهو راكب على متن الحياة: (نطويها ونحن بها ركب).

8- الزهد:

لغة: (زهّد: الزهد في الدين خاصة، والزهادة في الأشياء كلها، ورجل زهيد، وامرأة زهيدة، وهما القليل طعمهما. وأزهد الرجل إزهادا فهو مُزهدٌ لا يُرْعَبُ في ماله لقلته)⁽⁴⁾. وذكر ابن فارس في المقاييس: (زهّد الزاي والهاء والبدال أصل يدل على قلة الشيء، والزهيد الشيء القليل، وهو مزهد قليل المال، وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "أفضل الناس مؤمن مزهدٌ" هو المقلُّ)⁽⁵⁾.

¹ - أبو الصلت: الديوان، ق43، ص46

² - أبو الصلت: الديوان، ص46.

³ - إحسان عباس: عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق، عمان، ط1، 1997، ص96.

⁴ - الخليل بن أحمد: العين، ج2، باب الزاي، ص197.

⁵ - ابن فارس: المقاييس، ج3، (زهّد)، ص30.

الفصل الأول: الصور في الأغراض الشعرية

هذا الغرض له علائق مع أغراض أخرى كالحكمة والشعر التعليمي والثناء؛ لأنها تتناول نوعاً من الفلسفة و التأمل العميق في أمور الحياة، أو هي الرغبة في الخلاص من غوائل الحياة خاصة في عصر الشاعر نظراً للأوضاع المضطربة سياسياً واجتماعياً⁽¹⁾ فكان هاجس الخوف من المجهول هو المسيطر على نفسية الشعراء آنذاك، ولذا استقر بهم الحال إلى قناعة نبذ الحياة والثورة على الناس والعودة إلى الخالق بقلب تائب خاشع منيب.

هذا ما أتبعه أبو الصلت في صوره الزهدية إذ راح يصور حاله في ظل تلك الأوضاع المعاشية فتعددت موضوعاته لتشمل الدعوة إلى الله وطلب المغفرة والرضوان، كما ذكّر بالموت والآخرة وتحقير الدنيا ومتاعها الزائل في شكل قوالب حكمية ومواعظ وندم على الذنوب وتوبة صادقة حتى بلغ عددها خمسا (05) في الديوان:

رقم القطعة	التردد	الصورة / الغرض
الديوان 152-151-141-36	04	الزهد
ذيل الديوان - 68	01	05

وقد وردت صور الزهد في الديوان بحسب المواضيع الآتية:

1.8- صورة التوبة:

عندما أثقلته الذنوب وما ارتكبه في شبابه من لهو وفراغ راح يرجو توبة الله بنوع من الإحساس بالذنب و الخجل فيقول⁽²⁾: [من البسيط]

حسبي فكم بعدت في اللهو أشوطي	وطال في الغيبي إسرافي وإفراطي
أنفقت في اللهو عمري غير مزدجر	وجدت فيه بوفري غير محتاط
فكيف أخلص من بحر الذنوب وقد	غرقت فيه على بعد من الشاطي
يا رب مالي ما أرجو رضاك به	إلا اعترافي بأني المذنب الخاطي

¹ - إحسان عباس: عصر الطوائف والمرابطين، ص 105
² - أبو الصلت: الديوان، ق 36، ص 39.

إن الشاعر يوبخ نفسه الأمانة بالسوء راجيا مغفرة من الله مقرا و معترفا بذنوبه (إلا اعترافي بأني المذنب الخاطي).

2.8 - صورة وخز الضمير:

ويستفيق الشاعر على وخز الضمير الذي يعذبه فيطلب قرب الله تاركا وصل الناس الذين كانوا السراب الذي يحسبه الظمان ماءً فيقول⁽¹⁾: [من الخفيف]

كم أرجي الأراذل اللؤماء	وإخال السراب في القفر ماء
ويح نفسي ألا جعلت لربي	دون هذا الأنام هذا الرجاء

إن الشاعر نادم (ويح نفسي) يدعو الله أن يتقبله في عباده الصالحين، وينكر وصله بالأنام الذين ليس من ورائهم رجاء، ويتمسك بعري الله التي لا تزول.

3.8 - الوصية:

ومن صور زهد الشاعر وصيته التي أوصى بأن تكتب على قبره، وهي آخر ما قاله⁽²⁾: [من الطويل]

سكنتك يا دار الفناء مصدقا	بأني إلى دار البقاء أصير
وأعظم ما في الأمر أني صائر	إلى عادل في الحكم ليس يجور
فياليت شعري كيف ألقاه بعدها	وزادي قليل والذنوب كثير
فإن أك مجزيا بذنبي فإنني	بشر عقاب المذنبين جدير
وإن يك عفو منه عنى ورحمة	فثم نعيم دائر وسرور

وقد تدخل هذه الأبيات في باب الدعاء والتضرع وذلك لأن الشاعر أحس بدنو أجله وبأنه سيلاقي ربه، وأنه سيتعرض للحساب و الجزاء، فيهُمُّ بالدعاء يستغفر ويسترضي، ومن ذلك قوله⁽³⁾: [من الطويل]

لعل الرضا يوما بديل من السخط	فيعقب روحات الدنو من الشحط
وينصف من دهر على الحر معتد	وللجور معتاد وفي الحكم مشتط

¹ أبو الصلت: الديوان، ق28، ص36.
² أبو الصلت: الديوان، ق31/ذ، ص147.
³ أبو الصلت: الديوان، ق152، ص106.

أنا المذنب المخطي وأنت فلم تزل	تغمد ما يأتي به المذنب المخطي
وأجدر خلق الله بالعفو والرضا	محب أنت منه الإساءة في الفرط

وفي صورة الزهد تذكير بالموت و بالنهاية الحتمية للإنسان، وهذه الصورة نجدها كذلك في الرثاء حينما تحدث الشاعر بنوع من التبصر والإيمان بقضاء الله.

9- الفخر:

لغة: (فخيرك، مفاخرك، كالخصيم. تقول: فاخرته ففخرته، وهو نشر المناقب، وذكر الكريم بالكرم، ورجل فخير كثير الافتخار... والفاخر الجيد)⁽¹⁾. وهو كذلك كلُّ ما (يدلُّ على عظم وقدم.. و التفخر التعظم) ⁽²⁾. فهو التمدح بالخصال والافتخار.. والتفاخر والتعظيم، والتفخر التعظم والتكبر، وهو نشر المناقب. أما اصطلاحاً فهو غرض شعري أساسه الاعتزاز بالنفس والاعتزاز بالقوم، وهو غرض قريب من المدح (يعيده المتكلم على نفسه أو على قبيلته، وأن المادح يجوز أن يصف ممدوحه بالحسن والجمال، ولا يسوغ للمفتخر أن يصف نفسه بذلك)⁽³⁾.

والفخر عادة يكون أصدق الأغراض الشعرية شأنه شأن الرثاء من حيث العاطفة وعمق التجربة⁽⁴⁾. ولما كان هذا اللون من الشعر يمس جوارح الإنسان نظم فيه أمية قطعاً شعرية ترددت أربع مرات (04) حسب الجدول الآتي:

رقم القطعة	التردد	الصورة / الغرض
الديوان 63- 117-	02	الفخر
ذيل الديوان 9- 57-	02	04

إن الشاعر يصف ذاته الجريئة المثقلة بالحن والخطوب التي رافقت رحلته طيلة محطات حياته خاصة في مرحلة السجن، فكان فخره فخراً ذاتياً فردياً وليد شخص له

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، باب الفاء، ص 305.

² - ابن فارس: المقاييس، ج4، (فخر)، ص480.

³ - حازم القرطاجني: منهاج البلغاء، ص352. وهذا ما تحدث عنه ابن رشيق إذ يرى أن "الافتخار هو المدح بعينه إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه، فكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار، وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار" ينظر: العمدة، ج2، ص92.

⁴ - غازي طليعات وعرفان الأشقر: تاريخ الأدب العربي، الأدب الجاهلي، ص136.

كبرياء وعزة وأنفة يريد إثباتها لمن ظلمه، ومن ذلك تحذيره لكل من أراد المساس بشخصه و تلويث سمعته وذلك بنسج المكائد والدسائس له دون وجه حق، فيقول⁽¹⁾: [من الوافر]

ولو أني أساجل منه كفؤاً	بيوم الفخر أو يوم الطعان
لكف لسانه عني بليغ	كأن لسانه العضب اليماني
نجاهك من لساني فهو أمضى	بمعترك الجدال من السنان
ولا تعرض لهجوي فهو باق	على مر الزمان وأنت فان
وجرح السيف يبرأ عن قريب	وليس البرء من جرح اللسان

تطغى نبرة الفخر والتحذير في هذه الأبيات، وهو خطاب فيه نوع من الثقة بالنفس والتعالي؛ فالشاعر معجب بنفسه يرى أنه متفوق على من حوله، وله القدرة على التهديد بلسانه اللاذع الجارح بما خُصَّ به من فصاحة وبلاغة. وفي موضع آخر يتحدث عن توجهاته في الحياة فيقول⁽²⁾: [من الكامل]

غربت يدي بثلاثة عجب	الكأس والمضراب والقلم
بثلاثة لم تحوهن يد	إلا يد طبعت على الكرم
هذان للأفراح إن شردت	يوما وذا لشوارد الحكم

ثم يواصل مفتخرا بنفسه⁽³⁾: [من الخفيف]

لم أنل رتبة وذاك لأنني
ولو أن الخطوب عني تغضي
فقت هذا الآنام في كل فن
قلت إن الزمان قد نام عني

نلاحظ في هذه الأبيات تضخم الأنا عند الشاعر، والتعالي بالذات؛ وكأنه لا يطلب منصبا ولا رتبة لعلو شأنه ومنزلته لولا ضميم الزمان وما حل به وما يؤكد ذلك

¹ - أبو الصلت: الديوان، ق، 63، ص 162.

² - أبو الصلت: الديوان، ق، 57، ص 160.

³ - أبو الصلت: الديوان، ق، 117، ص 93.

أيضا أنفته وصبره على الشدائد؛ لأنه من خصال الرجال ودليل على صلابته ذاته في تحمل الصعاب ومن ذلك قوله ⁽¹⁾: [من البسيط]

لا تعتبوني على أن لا أزوركم وقد تمنعتم عني بحجاب
إني من القوم يجلو الموت عندهم دون الوقوف لمخلوق على باب

فقد طرق الأندلسيون هذا الغرض غير أنهم لم يكثروا من الفخر بالعصبية والأنساب، وإذا افتخروا بقبائلهم كان ذلك في أضيق صورته. لقد كان الفخر عند أمية متنفسا تبرز منه المثالية الفردية المتجسدة في الوفاء والمروءة والكرامة وغيرها من الشيم النبيلة الخاصة دون الإيغال في الفخر بالأنساب والقبائل.

10- الأحجية:

لغة: (حجا) (حجو): حاجيته فحجوته، إذا ألقى عليه كلمة مُحجبة مخالفة المعنى، والجواري يتحاجين. والأحجية: اسم للمحاجة، والحجوى كذلك... والحجيا: تصغير الحجوى. وتقول الجارية للأخرى: حُجياك ما كان كذا وكذا. والأحجية: اسم المُحاجة، والأحجوة لغة، وبالياء أحسن لطول الكلمة⁽²⁾.

أما في الاصطلاح فيقصد بها تلك المناظرات التي كانت تجرى بين الشعراء لاختبار الذكاء في قوالب شعرية تدل على براعة الشاعر، وهذا اللون قد بينه أبوالصلت في ديوانه انطلاقا من ذكره لبعض الأحاجي التي بثها وتجلت حسب الديوان فيما يلي:

رقم القطعة	التردد	الصورة / الغرض
الديوان 24-25-52-	03	الأحجية 03

فقال محاجيا: ودونك [أحجيك]

أحجيك ما لاهِ بذي اللبِّ هازيء	على أنه لا يعرف اللهو والهزء
بعيد على لمس الأكف مناله	وأن هو لم يبعُد عياناً ولا مرأى

¹ - أبو الصلت: الديوان ، ق 9ذ، ص133.
² - الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، باب الحاء، ص291-292.

يراسل خلاً إن عدا عدوً مُسرِع	حكاها، وإن يبطيءَ لأمر حكي البطئنا
ترى الرجل محمولا عليه كأنما	مراسله من دونه يحمل العبئا
ولم يخش يوما من تعسف قفرة	أساودها تسعى وآساودها تدأى
يغيب إذا جنح الظلام أظله	لزاما، ويبدو كلما آنس الضوءا
ولكن يحيى صده في ثباته	فلا جرعتنا الحادثات به رزءا

إن الشاعر هنا يحاجي بالظل، ويتبين ذلك في ذكره لبعض صفات الظل وعلاماته كقوله: (بعيد على لمس الأكف مناله بحيث يستعصي علينا مسكه كم أنه يحاكي من عدا في عدوه سواء أكان مسرعا أم كان مبطئا، ويغيب في الظلام بمعنى أن ظهوره مقترن بالضوء.)

وقال يحاجي بالبكرة⁽¹⁾: [من الهزج]

بنفسي أنت ما أذكى	وما أذكى وما أنبل
وما أغزر ما أوتى	ت من علم وما أكمل
فما جوريت إلا كذ	ت أنت السابق الأول
ولا حوجيت إلا جى	ت مثل القيس المشعل
وما أعيك ما استعجب	م من معنى وما أشكال
فما كدرية لم تعل مذ	طارت ولم تسفل
لها في الجو وكر لم	ترم عنه ولم ترحل
فما ترقى مع النسر	ولا تهوي مع الأجدل
عوان نكحت دهرا	فلم تعلق ولم تحبل
تشبيت بها دهرا	وفي ساحتها أنزل
وواصلت مراسيها	ولكن كنت من أسفل
فلما أن أصبت الماء	صب العارض المسبل
تنحيت ولم أستح	من فعلي ولم أخجل

¹ - أبو الصلت: الديوان ، ق52، ص55.

لقد ربط الشاعر بين صورة الكدرية القطاة وبين البكرة وذلك في ارتباطها بالسماء وارتباطها في الوقت ذاته بالأرض فهي في حال توتر واضطراب، وهي حالة قد تحاكي حال الشاعر من حيث التوتر وعدم الاستقرار.

11- الاعتذار:

لغة (عذر عذرته عذراً ومعدرة: والعذر اسم، عذرته بما صنع عذراً، ومعدرة، وعذرتهمن فلان، أي لُمت فلانا ولم ألمه... وعذيري من فلان، أي من يعذرني منه... واعتذر من ذنبه فعذرته، وأعذر فلان أي أبلى عذرا فلا يلام)⁽¹⁾.
وقد تحدث ابن رشيقي عن هذا الموضوع فبيّن أن المعتذر يجب عليه أن (يعرف كيف يأخذ بقلب المعتذر إليه، وكيف يمسح أعطافه، ويستجلب رضاه)⁽²⁾.

وفي الديوان ثلاثة مواقع للاعتذار:

رقم القطعة	التردد	الصورة / الغرض
الديوان 6-41-127	03	اعتذار و استعطاف

ومن صوره قوله⁽³⁾: [من الخفيف]

ماتخلفت عن عيادة مولا ي لغش في الود ولا اعتقاد
بل لأنني كرهت لقياه في حا لة شاك فاخترت حال البعاد
وإذا صحت القلوب فما يق دح في الودّ غيبة الأجساد
وأما الاستعطاف لغة فهو من: (عطفت الشيء أملتة، وانعطف الشيء انعاج، وعطفت عليه، انصرفت، والعطاف الرجل العطيف على غيره بفضله، الحسن، الخلق، البار، اللين الجانب)⁽⁴⁾؛ فالاستعطاف إذن لون من ألوان طلب اللين وإمالة الجانب بغية الحصول على كرم العفو أو سماحة المستعطف. ومن صوره في طلب رضى الحاكم قوله⁽⁵⁾: [من المجتث]

عذبتني بالتجني	يا غاية المتمني
قسمت لحظي وقلبي	ما بين حسن وحزن

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، ج3، باب العين، مادة عذر، ص 120.

² - ابن رشيقي: العمدة، ج2، ص123.

³ - أبو الصلت: الديوان، ق 127، ص 96-97.

⁴ - الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، ج3، باب العين، مادة عطف، ص 182.

⁵ - أبو الصلت: الديوان، ق 6، ص24.

يكون منك ومني	وأي أعجب شي
أسومك الصفح عني	إني إذا جئت ذنبا

ومنها- صور الاستعطف- استعطف الملك الأفضل لإطلاق سراحه من السجن⁽¹⁾: [من الوافر]

عسى الملك الأجل يفك أسري و يعيدني على الزمن العنيد
حليم يوسع الجانبين عفوا وينجز وعده دون الوعيد
12- الشكوى والاستنجد:

(في اللغة شكّو الشين والكاف والحرف المعتل أصل واحد يدل على توجع من شيء، فالشكو المصدر؛ شكوته [شكوا] وشكاةً وشكاية. وشكوت فلانا فأشكاني أي أعتبني من شكواي. وأشكاني إذا فعل بك ما يحوجك إلى شكايته... والشكّي الذي يشتكي وجعا)⁽²⁾.

وأما الاستنجد ف(النون والجيم والبدال أصل واحد يدل على اعتلاء وقوة وإشراف. منه النجد الرجل الشجاع.. ولاقى فلان نجدة أي شدة.. وربما قالوا في هذا: نجد فهو منجودٌ.. ويقال استنجدته فأنجدني، أي استغثته فأغاثني، وفي ذلك الباب استعلاءً على الخصم)⁽³⁾.

وقد ورد هذا الغرض ضمناً في باب المدح، كما ورد هذا الموضوع صريحاً مرة واحدة حسب الجدول الآتي:

رقم القطعة	التردد	الصورة / الغرض
ذيل الديوان 52	01	الشكوى والاستنجد 01

وتمثل هذا الغرض في استصراخ أحد أصدقائه طالبا منه تخليصه من السجن قائلاً⁽⁴⁾: [من الكامل]

جعل السقاة مزاجها من حنظل	إني سقيت من الخطوب سلافة
---------------------------	--------------------------

¹ - أبو الصلت: الديوان ، ق41، ص43.

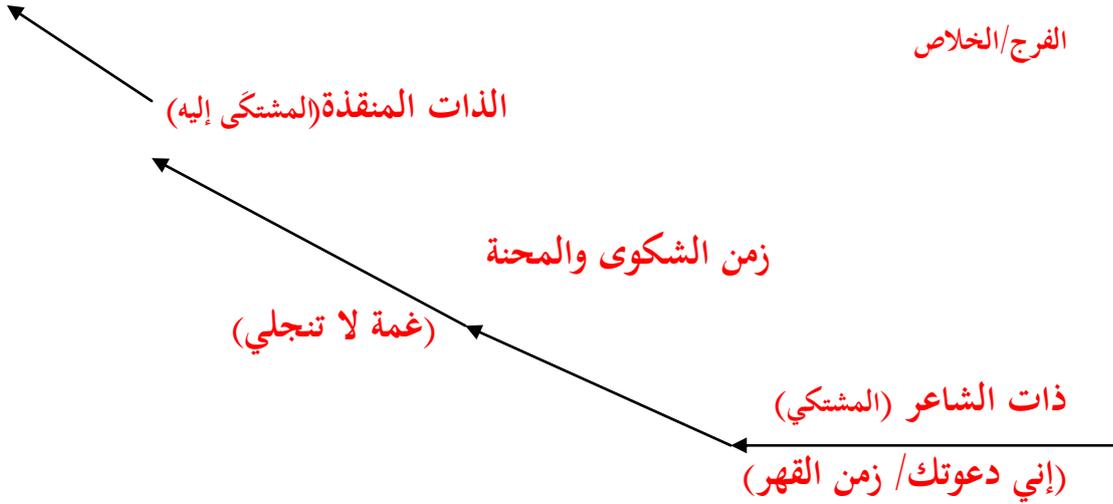
² - ابن فارس: المقاييس، (شكو)، ج3، ص207.

³ - ابن فارس: السابق، (نجد)، ج5، ص391-392.

⁴ - أبو الصلت: الديوان ، ق ذ52، ص158.

كأس ثملت بها فملت وإنما	دحضت بها قدمي من الشرف العلي
فاحلب بضبعي منقذي من هوة	أصبحت منها في الحضيض الأسفل
وامدد إلي يد المغيث فكم يد	لك أنقذت من كل خطب معضل
إني دعوتك حين أجحف بي الردى	فأغث فإني منه تحت الكلكل
فإليك مفزع كل عان خائف	ولديك فرجة كل باب مقفل
قد طالت الشكوى وأقصر وقتها	مؤد بكل تصبر وتجمل
واشتدت البلوى وأنت لرفعها	فأجب فإني قد دعوتك يا علي
عمر يمر وكربة ما تنقضي	أبد الزمان وغمة لا تنجلي
وزمان سخط ماله من آخر	ورجاء عفو ما له من أول
كم ذا التغافل عن وليك وحده	والأمر يخرج دون كل مؤمل
وعلام يهمل أمره ويضيعه	من ليس للصنع الجميل بمهمل
قم في خلاصي واصطنعني تصطنع	رطب اللسان مدير باع المقول
يثنى عليك بما صنعت وربما	كرم الثناء فذم عرف المبذل

صور الشاعر في هذا الغرض حالة من الأسى تمثلت في صورة الضعف وصورة العجز أمام عقبات الزمن خاصة في فترة سجنه، فتراه في صورة الضعيف الذي يبحث عن النجدة عند من يراه طرفاً قويا، فيرفع إليه بشكواه واستغاثته. لقد وردت صور الشكوى ضمناً في صور أخرى كالممدوح مثلاً؛ لأنه قد يقصد من خلاله في كثير من الأحيان استمالة قلب الممدوح واستعطافه وذلك بتصويره في صورة تتجلى فيها قيم الصلابة والعفة والعدل ونصرة المظلوم. لقد تجلت الشكوى أيضاً من خلال صورة الزمن القائمة التي تنبع من ذات الشاعر المأزومة؛ أساسها الطول والألم من الناحية النفسية فتراه يطلب الخلاص الذي طال في عتمة السجن ويستصرخ لرفع البلوى التي أصابته. إنه يصور ذاته المشتكية في الحضيض الأسفل-على حد تعبيره- ويصور الذات المنقذة في قمة القوة.



وعلى قدر الإنشاء والمحاكاة يكون التحصيل والتخييل، على أن تتناسب عناصر الصور ومكوناتها وتترتب أجزاءها وأنماطها، و قد تجلت ذات الشاعر في عدة صور:

- 1- صورة المغترب (نظرا لسفره وعدم استقراره في وطنه).
 - 2- صورة القوي الثابت (نظرا لحظوته بمنصب لدى الأمير في مصر وتجسد ذلك في صوره المدحية في مصر).
 - 3- صورة المتهم (لاتهامه بإغراق سفينة الملك).
 - 4- صورة السجين (في مصر).
 - 5- صورة الناقم قبل وبعد خروجه من السجن لما لاقاه من معاملة قاسية ومن وشايات كاذبة كيدت له.
 - 6- صورة العائد (عودته إلى دياره، وإلى المكان الذي حَقَّق له نوعا من الاستقرار، وكان ذلك في المهديّة بتونس)، وفيها أيضا صورة القوي حين حظي مجددا بالمنصب المرموق.
 - 7- صورة الزاهد بعد ترحاله الطويل، ليلجأ إلى الله. وهذه الصورة هي محطة الشاعر النهائية، فبعدها رجع إلى مثواه الأخير .
- لقد صب الشاعر من فيض شعوره في كل محطة من المحطات السابقة حسب حالته الشعورية، ففي ترحاله تعددت موضوعاته الشعرية فوجدناه واصفا، ومادحا،

الفصل الأول: الصور في الأعراس الشعرية

ومفتخرا حتى وصل إلى غايته وهي (صورة القوة)، وغالبا ما تنحصر في هذه الصورة مجموعة من الموضوعات أبرزها المدح للطبقة الحاكمة، ثم يأتي الوصف والغزل والترسل والرثاء.

حددت هذه المحطات الزوايا التي استعملها الشاعر وانطلق منها لتصوير رؤيته ضمن إطار كلي هو القصيدة. وتكون مجمل الصور التي عني بها الشاعر مجتمعة في التشكيل الآتي:

مسيرة الشاعر:



وتجلت في المدح صور الممدوح بأركانه الأربعة تتفرد حيناً وتجتمع حيناً آخر؛
ففي العقل والشجاعة والعدل والعفة اكتمال للصورة، وفي بعضها دون البعض الآخر
صورة دون الاكتمال وإن كانت محمداً قل الممدوحون بها.

وفي الردِّ ِ على الرسائل صور للممدوح أيضاً؛ إذ تظهر له فيها محاسن
وفضائل خلقية وخلقية، ترفع عنه الرذائل والمساوئ، ويبدو في علمه وأدبه وحكمته
صورة تنحو إلى الاكتمال، أو على الأقل صورة فيها الحقيقة أو بعضها كما يراها
ويتصورها.

وفي الحكمة صور من مواقفه في الحياة؛ وكيف للمرء أن يجعل منها معالم
لتنسجم مع حياة الناس، وتكسبه تجربةً وحنكة.

وفي الغزل صور مادية وأخرى معنوية أخذ الشاعر نمطيتها من القدامى وكأنه
يجاريهم في صنيعهم، وقد دلَّ على ذلك ورودها في مقطوعات قصيرة ومباشرة، ولم
تأت كباقي صورها في مجمل الأغراض السالفة.

وفي الهجاء والذم صور المهجو والمذموم نقداً له، مضخماً بعضها ومداعباً في
بعضها الآخر مبدى التناقض، وقاصداً التصحيح والتحسين الوضعي، وفي حالات
يصور صورةً تحمل تناقضاً بين الصنعة/الخلق والخلق أو العكس، فيمدح له من
الخصائص ما يعيبه، وفي الكل صورة هجاء مركبة.

وفي الرثاء صور المرثي في مناقبه ومآثره وخصاله التي تبقى نموذجاً يُحتذى به،
وفيها أيضاً صور الراثي في حزنه وأساه وألمه.

وفي الزهد صور أساسها الحكمة والتدبير في ملكوت السموات والأرض؛ فيقلُّ
من كل شيء، حتى تصبح الحياة بكل ما فيها لا تعني له شيئاً، وذلك هو الزهد الذي
يورث التواضع والتسامح والهجرة إلى الله بالتوبة النصوح والندم على الماضي ليقبل على
الوصايا علَّه يصلح ما أفسده فيما مضى.

وفي الفخر صور الذات المفتخرة بما لها وما أبجزته، أو بما شاركت في إنجازها،
وهي جزء من الكل الذي يلحقه الفخر.

الفصل الأول: الصور في الأغراض الشعرية

وتجلت صور الاعتذار والشكوى والاستنجد في هيئة صورة الضعف الحاملة
لصورة المعتذر والمستعطف والشاكي والمستنجد.

على هذا جاءت الصورة الشعرية عند أبي الصلت:

- 1 - تخص الإنسان عموماً في قوته وضعفه.
- 2 - يغلب عليها التطور التصويري.
- 3 - يتداخل بعضها في بعض بفعل تداخل الأغراض.
- 4 - الغرض صورة شمولية تبنيها وتصنعها صور صغرى تتفاعل وتتكاثر فيما بينها.

فإذا كانت هذه هي الأغراض الشعرية في ديوان أبي الصلت، وهذه هي الصور

العامة فيه، فما تكون مقاييس التشكيل في شعره؟ وما طبيعة المحاكاة، وما أنماط

الصورة الشعرية فيه؟